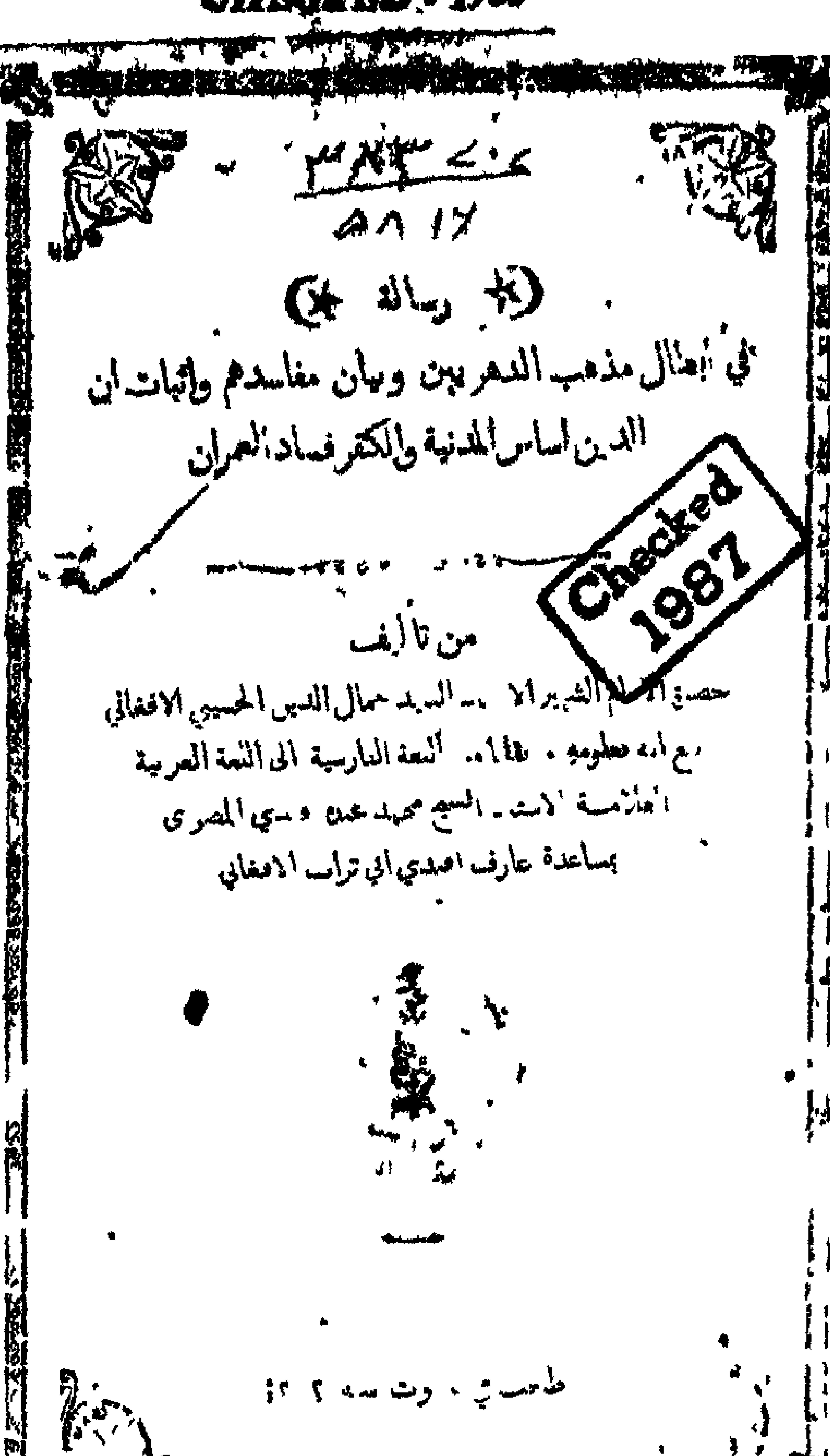




رسالة

في ابطال مذهب الدهريين وبيان مفاسدهم واثبات ان الدين اساس المدنية والكفر فساد العمران

من تاليف
حضرة العالم الشهير الاستاذ السيد جمال الدين الحسيني الافغاني
ترجمة من اللغة الفارسية الى اللغة العربية
العلامة الاستاذ الشيخ محمد عبده المصري
بمساعدة عارف افندي ابي تراب الافغاني

طبع في بيروت سنة ١٣٠٣





﴿ سيرة صاحب هذه الرسالة الشيخ جمال الدين الافغاني ﴾

يحملنا على ذكر شيء من سيرة هذا الرجل الفاضل ما رأيناه من تخالف الناس في أمره وتباعد ما بينهم في معرفة حاله وتباين صوره في مخيلات اللاقفين لخبره حتى كانه حقيقة كلية تجلت في كل ذهن بما يلائمه او قوة روحية قامت لكل نظر بشكل يشاكله والرجل في صفاء جوهره وزكاء ... لم يصبه وهم الواهمين ولم يمسه حزر الخراصين وانا نذكر مجملاً من خبره نرويه عن كمال الخبرة وطول العشرة

هذا هو السيد محمد جمال الدين ابن السيد صفتر من بيت عظيم في بلاد الافغان ينتهي نسبه الى السيد علي الترمذي المحدث المشهور ويرتقي الى سيدنا الحسين بن علي بن ابي طالب كرّم الله وجهه . وآل هذا البيت عشيرة وافرة العدد تقيم في خطة ﴿ كنر ﴾ من اعمال كابل تبعد عنها مسيرة ثلاثة ايام ولهذه العشيرة منزلة علية في قلوب الافغانيين يجلونها رعاية لحرمة نسبها الشريف وكانت لها سيادة على جزء من الاراضي الافغانية تستقل بالحكم فيه وانما سلب الامارة من ايديها دوست محمد خان جد الامير الحالي وأمر بنقل ابي السيد جمال الدين وبعض اعمامه الى مدينة كابل

وُلد السيد جمال الدين في قرية (اسعد آباد) من قرى كنر سنة ١٢٥٤ هجرية وانتقل بانتقال ابيه الى مدينة كابل وفي السنة الثامنة من عمره أجلس للتعلم وعني والده بتربيته فأيد العناية به قوة في فطرته واشراق في قريحته وذكاء في مدركته فأخذ من بدايات العلوم ولم ينفب دون نهاياتها . تلقى علوماً جمة برع في جميعها فمنها العلوم العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وكتابة وتاريخ عام وخاص ومنها علوم الشريعة من تفسير

وحديث وفقه وأصول فقه وكلام وتصوف ومنها علوم عقلية من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزلية وتهذيبية وحكمة نظرية طبيعية وإلهية ومنها علوم رياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة افلاك ومنها نظريات الطب والتشريح . أخذ جميع تلك الفنون عن اساتذة ماهرين على الطريقة المعروفة في تلك البلاد وعلى ما في الكتب الاسلامية المشهورة واستكمل الغاية من دروسه في الثامنة عشرة من سنه ثم عرض له سفر الى البلاد الهندية فاقام بها سنة وبضعة اشهر ينظر في بعض العلوم الرياضية على الطريقة الاوربية الجديدة وأتى بعد ذلك الى الاقطار الحجازية لأداء فريضة الحج وطالت مدة سفره اليها نحو سنة وهو ينتقل من بلد الى بلد ومن قطر الى قطر حتى وافى مكة المكرمة في سنة ١٢٧٣ فوقف على كثير من عادات الامم التي مرّ بها في سياحته وأكتنه اخلاقهم وأصاب من ذلك فوائد غزيرة ثم رجع بعد اداء الفريضة الى بلاده ودخل في سلك رجال الحكومة على عهد الامير دوست محمد خان ولما زحف الامير الى هراة ليفتحها ويأخذها من سلطان احمد شاه صهره وابن عمه سار السيد جمال الدين معه في جيشه ولازمه مدة الحصار الى أن توفي الامير وفتحت المدينة بعد معاناة الحصر زمنا طويلا . وتقلد الامارة ولي عهدها شير علي خان سنة ١٢٨٠ وأشار عليه وزيره محمد رفيق خان ان يقبض على اخوته خصوصاً من هو اكبر سناً منه ويعتقلهم فان لم يفعل سعوا بالناس الى الفتنة وأراهم للتساد طلباً للاستبداد بالامارة وكان في جيش هراة من اخوة الامير ثلاثة محمد اعظم ومحمد اسلم ومحمد امين وهوى الشيخ جمال الدين كان مع محمد اعظم فلما أحسوا بتدبير الامير ومشورة الوزير أسرعوا الى الفرار وتفرّقوا الى الولايات كل منهم ذهب الى ولايته التي كان يليها من قبل ابيه ليعتصم بمنعته فيها وطاشت بهم الفتن واشتعلت نيران الحروب الداخلية وبعد مجالدات عنيفة عظيمة ظفر محمد اعظم وابن اخيه عبد الرحمن (الامير الحالي) وتغلبا على عاصمة المملكة وانقذا محمد افضل والد عبد الرحمن من سجن قرنة وسمياه

اميرًا على افغانستان ثم ادركه الموت بعد سنة وقام على الامارة بعده شقيقه محمد اعظم خان وارتفعت منزلة الشيخ جمال الدين عنده فأحله محل الوزير الاول وعظمت ثقته به فكان يلجأ لرأيه في العظائم وما دونها (على خلاف ما تعوده امراء تلك البلاد من الاستبداد المطلق وعدم التعويل على رجال حكومتهم) وكادت تخلص حكومة الافغان لمحمد اعظم بتدبير السيد جمال الدين لولا سوء ظن الامير بالاغلب من ذوي قرابته ميله على تفويض مهمات من الاعمال الى ابنائه الاحداث وهم خلو من التجربة عراة من الحنكة فساق الطيش احدهم وكان حاكمًا في قندهار على منازلة عمه شير علي في هراة ولم يكن له من الملك سواها وظن الفتى انه يظفر فينال عند ابيه حظوة فيرتفع على سائر اخوته فلما تلاقى مع جيش عمه دفعته الجرأة على الانفراد عن جيشه في مائتي جندي واخترق بها صفوف اعدائه فأوقع الرعب في قلوبهم وكادوا ينهزمون لولا ما التفت يعقوب خان قائد شير علي فوجد ذلك الغر المنهور منقطعًا عن جيشه فكرّ عليه واخذه اسيرًا فتشتت جند قندهار وقوي الامل عند شير علي فحمل على قندهار واستولى عليها وعادت الحرب الى شبابها وعضد الانكليز شير علي وبذلوا لها قناطير من الذهب ففرّقها في الرؤساء والعاملين لمحمد اعظم فبيعت أمانات ونقضت عهود وجددت خيانات وبعد حروب هائلة تغلب شير علي وانهزم محمد اعظم وابن اخيه عبد الرحمن فذهب عبد الرحمن الى بخارى (وعاد اليوم الى بلاده وهو اميرها) وذهب محمد اعظم الى بلاد ايران ومات بعد اشهر في مدينة نيسابور وبقي السيد جمال الدين في كابل لم يمسسه الامير بسوء احترامًا لعشيرته وخوف انتقاض العامة عليه حمية لآل البيت النبوي الا انه لم ينصرف عن الاحتيال للغدر به والانتقام منه بوجه يلتبس على الناس حقه بباطله ولهذا رأى السيد جمال الدين خيرًا له ان يفارق بلاد الافغان فاستأذن للحج فاذن له على شرط ان لا يمرّ ببلاد ايران كيلا يلتقي فيها بمحمد اعظم وكان لم يمت فارتحل على طريق الهند سنة ١٢٨٥ بعد هزيمة محمد

اعظم بثلاثة اشهر فلما وصل الى التخوم الهندية تلقته حكومة الهند بحفاوة في اجلال الا انها لم تسمح له بطول الاقامة في بلادها و لم تاذن للعلماء في الاجتماع عليه الا على عين من رجالها فلم يقم اكثر من شهر ثم سيرته من من سواحل الهند في احد مراكبها على نفقتها الى السويس فجاء الى مصر واقام بها نحو اربعين يوماً تردد فيها على الجامع الازهر وخالطه كثير من طلبة اهل السوريين ومالوا اليه كل الميل وسألوه ان يقرأ لهم شرح الاظهار فقرأ لهم بعضا منه في بيته ثم تحول عن اختيار عزمه وتعجل بالسفر الى الاستانة

وصل الاستانة و بعد ايام من وصوله امكنه ملاقاة الصدر الاعظم عالي باشا ونزل منه منزلة الكرامة وعرف له الصدر فضله واقبل عليه بما لم يسبق لمثله وهو مع ذلك بزيه الافغاني قباء وكساء وعمامة عجراء وحومت عليه لفضله قلوب الامراء والوزراء وعلا ذكره بينهم وتناقلوا الثناء على علمه ودينه وادبه وهو غريب عن ازيائهم ولغتهم وعاداتهم و بعد ستة اشهر سمي عضواً في مجلس المعارف فادى حق الاستقامة في آرائه واشار الى طرق لتعميم المعارف لم يوافقه على الذهاب اليها رفقاؤه ومن ذلك الطرق ما اخذ بايه قلب شيخ الاسلام لذلك الوقت حسن فهمي افندي لانه كانت تمس شيئا من رزقه فارصد له العنت حتى كان رمضان سنة ١٢٨٧ فرغب اليه مدير دار الفنون تحسين افندي ان يلقي بها خطابا للحث على الصناعات فاعتذر اليه بضعفه في اللغة التركية فالح عليه تحسين افندي فانشأ خطابا طويلا كتبه قبل التلاوة وعرضه على رجال المعارف فكان منهم شرواني زاده وكان مدير المدارس وعلي دولتلو منيف باشا ناظر المعارف الحالي وكان عضوا في مجلس المعارف واستحسنه كل منهم [illegible]

فلما كان اليوم المعين لاستماع الخطاب تسارع الناس الى دار الفنون واحتفل له جم غفير من رجال الحكومة واعيان اهل العلم وارباب الجرائد وحضر في الجمع معظم الوزراء وصعد السيد جمال الدين على منبر الخطابة والقى ما كان اعده ونرسل حسن فهمي افندي اشعة نظره في تضاعيف الكلام

ليصيب منه حجة للتمثيل به وما كان يجدها لو طلب حقًا ولكن كان الخطاب في تشبيه المعيشة الانسانية ببدن حي وان كل صناعة بمنزلة عضو من ذلك البدن تؤدي من المنفعة فى المعيشة ما يؤديه العضو في البدن فتبه الملك مثلاً بالمخ الذي هو مركز التدبير والارادة . والحدادة بالعضد والزراعة باليد والملاحة بالرجلين ومضى في سائر الصناعات والاعضاء حتى اتى على جميعها ببيان ضاف واف ثم قال هذا ما يتالف منه جسم السعادة الانسانية ولا حياة لجسم الا بروح وروح هذا الجسم اما النبوة واما الحكمة ولكن يفرق بينهما بان النبوة منحة إلهية لا تنالها يد الكاسب يختص الله بها من يشاء من عباده والله اعلم حيث يجعل رسالاته اما الحكمة فمما يكتسب بالفكر والنظر في المعلومات . وبأن النبي معصوم من الخطا والحكيم يجوز عليه الخطا بل يقع فيه وان احكام النبوات آتية على ما في علم الله لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها فالاخذ بها من فروض الايمان اما آراء الحكماء فلا يجب على الذمم فرض اتباعها الا من باب ما هو الاولى والافضل على شريطة ان لا تخالف الشرع الالهي . هذا ما ذكره متعلقًا بالنبوة وهو منطبق على ما اجمع عليه علماء الشريعة الاسلامية الا ان حسن فهمي افندي اقام من الحق باطلا ليصيب غرضه من الانتقام فاشاع ان الشيخ جمال الدين زعم ان النبوة صنعة واحتج لتثبيت الاشاعة بانه ذكر النبوة في خطاب يتعلق بالصناعة (وهكذا تكون حجج طلاب العنت) ثم اوعز الى الوعاظ في المساجد ان يذكروا ذلك محفوفًا بالتفنيد والتنديد فاهتم السيد جمال الدين للمدافعة عن نفسه واثبات براءته مما رمي به ورأى ان ذلك لا يكون الا بمحاكمة شيخ الاسلام (وكيف يكون ذلك) واشتد في طلب المحاكمة واخذت منه الحدة مبلغها واكثرت الجرائد من القول في المسالة فمنها نصراء للشيخ جمال الدين ومنها اعوان لشيخ الاسلام فاشار بعض اصحاب السيد عليه ان يلزم السكون ويغضي على الكريهة وطول الزمان يتكفل باضمحلال الاشاعات وضعف اثرها فلم يتقبل ولج في طلب المخاصمة فعظم الامر وآل الى صدور امر الصدارة اليه بالجلاء

عن الاستانة بضعة اشهر حتى تسكن الخواطر ويهدأ الاضطراب ثم يعود إن شاء فغارق الاستانة مظلوماً في حقه مغلوبا لحدته وحمله بعض من كان معهُ على التحول الى مصر فجاء اليها في اول محرم سنة ١٢٨٩ هذا مجمل امره في الاستانة وما ذكره سليم العنحوري في شرح شعره المسمى سحر هاروت مما يخالف ذلك خلط من الباطل لاشائبة للحق فيه

سار السيد جمال الدين الى مصر على قصد التفرج بما يراه من مناظرها ومظاهرها ولم تكن لهُ عزيمة على الإقامة بها حتى لاقى صاحب الدولة رياض باشا فاستمالته مساعيه الى المقام وأجرت عليه الحكومة وظيفة الف قرش مصري كل شهر نزلا اكرمته به لا في مقابلة عمل واهتدى اليه بعد الاقامة كثير من طلبة العلم واستوروا زنده فأورى واستفاضوا بحره ففاض درا وحملوه على تدريس الكتب فقرأ من الكتب العالية في فنون الكلام الأعلى والحكمة النظرية طبيعية وعقلية وفي علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم اصول الفقه الاسلامي وكانت مدرسته بيته من اول ما ابتدا الى آخر ما اختتم ولم يذهب الى الازهر مدرسا ولا يوما واحدا نعم كان يذهب اليه زائرا واغلب ما كان يزوره يوم الجمعة . عظم امر الرجل في نفوس طلاب العلوم واستنزلوا فوائد الاخذ عنه واعجبوا بدينه وأدبه وانطلقت الالسن بالثناء عليه وانتشر صيته في الديار المصرية ثم وجه عنايته لحل عُقَل الاوهام عن قوائم العقول فنشطت لذلك الباب واستضاءت بصائر وحمل تلامذته على العمل في الكتابة وإنشاء الفصول الادبية والحكمية والدينية فاشتغلوا على نظره وبرعوا وتقدم فن الكتابة في مصر بسعيه وكان ارباب القلم في الديار المصرية القادرون على الاجادة في المواضيع المختلفة محصورين في عدد قليل وما كنا نعرف منهم الا عبد الله باشا فكري وخيري باشا ومحمد بيك سيد احمد على ضعف فيه ومصطفى باشا وهبي على اختصاص فيه ومن عدا هؤلاء فاما ساجعون في المراسلات الخاصة واما مصنفون في بعض الفنون العربية او الفقهية وما شاكلها

ومن عشر سنوات ترى كتبه في القطر المصري لا يشق غبارهم ولا يوطأ مضمارهم واغلبهم احداث في السن شيوخ في الصناعة وما منهم الا من اخذ عنه او عن احد تلامذته او قلد المتصلين به ومنكر ذلك مكابر وللحق مدابر . هذا ما حسده عليه اقوام واتخذوا سبيلا للطعن عليه من قراءته بعض الكتب الفلسفية اخذا بقول جماعة من المتأخرين في تحريم النظر فيها على ان القائلين بهذا القول لم يطلقوه بل قيدوه بضعفاء العقول فصار النظر خشية على عقائدهم من الزيغ اما الثابتون في ايمانهم فلهم النظر في علوم الاولين والآخرين من موافقين لمذاهبهم او مخالفين فلا يزيدهم ذلك الا بصيرة في دينهم وقوة في يقينهم ولنا في ائمة الملة الاسلامية الف حجة تقوم على ما نقول ولكن تمكن الحاسدون من نسبة ما اودعته كتب الفلاسفة الى رأي هذا الرجل واذاعوا ذلك بين العامة ثم ايدهم اخلاط من الناس من مذاهب مختلفة كانوا يطرقون مجلسه فيسمعون ما لا يفهمون ثم يحرفون في النقل عنه ولا يشعرون غير ان هذا كله لم يؤثر في مقام الرجل من نفوس العقلاء العارفين بحاله ولم يزل شانه في ارتفاع والقلوب عليه في اجتماع الى ان تولى خديوية مصر حضرة خديويها الحالي توفيق باشا وكان السيد من المؤيدين لمقاصده الناشرين لمحامده الا ان بعض المفسدين ومنهم (مستر فيفيان) قنصل انكلترا الجنرال سعى فيه لدى الجناب الخديوي ونقل المفسد عنه ما الله يعلم انه بريء منه حتى غير قلب الخديوي عليه فاصدر امره باخراجه من القطر المصري هو وتابعه ابو تراب فارق مصر الى البلاد الهندية سنة ١٢٩٦ واقام بحيدر آباد الدكن وفيها كتب هذه الرسالة في نفي مذهب الدهريين ولما كانت الفتنة الاخيرة بمصر دعي من حيدر آباد الى كلكته وألزمته حكومة الهند بالاقامة فيها حتى انقضى امر مصر وطفئت الحرب الانكليزية ثم ابيح له الذهاب الى اي بلد فاختار الذهاب الى اوربا واول مدينة صعد اليها مدينة لوندرا اقام بها اياما قلائل ثم انتقل عنها الى باريز واقام بها ما يزيد على ثلاث سنوات

وافيناه في اثنائها ولما كلفتـه جمعية العروة الوثقى ان ينشئ جريدة تدعو المسلمين الى الوحدة تحت لواء الخلافة الاسلامية ايدها الله سألني ان اقوم على تحريرها فأجبت ونشر من الجريدة ثمانية عشر عدداً وقد اخذت من قلوب الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً ما لم يأخذه قبلها وعظ واعظ ولا تنبيه منبه وذلك لخلوص النيـة في تحريرها وصحة المقصد في تحبيرها ثم قامت الموانع دون الاستمرار في اصدارها حيث قفلت ابواب الهند عنها وبسبب [illegible] ومة الانكليزية في إعنات من تصل اليهم فيه ثم بقي بعد ذلك مقيما باوربا أشهراً في باريز واخرى في لندرا الى اوائل شهر جمادي الاولى سنـة ١٣٠٣ وفيه رجع الى البلاد الايرانية وسيذهب منها الى افغانستان

اما مذهب الرجل فحنيفي حنفي وهو وان لم يكن في عقيدته مقلداً لكنه لم يفارق السنة الصحيحة مع ميل الى مذهب السادة الصوفية رضي الله عنهم وله محافظة شديدة على اداء الفرائض في مذهبه وعرف بذلك بين معاشريه في مصر أيام اقامته بها ولا يأتي من الاعمال الا ما يحل في مذهب إمامه فهو اشد من رايت في المحافظة على اصول مذهبه وفروعه اما حميته الدينية فهي مما لا يساويه فيها احد يكاد يلتهب غيرة على الدين واهله

اما مقصده السياسي الذي قد وجه اليه افكاره واخذ على نفسه السعي اليه مدة حياته وكل ما اصابه من البلاء اصابه في سبيله فهو انهاض دولة اسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على شؤونها حتى تلحق الامة بالامم العزيزة والدولة بالدول القوية فيعود للاسلام شأنه وللدين الحنيفي مجده ويدخل في هذا تنكيس دولة بريطانيا في الاقطار المشرقية وتقليص ظلها عن رؤوس الطوائف الاسلامية وله في عداوة الانكليز شؤون يطول بيانها

اما منزلته من العلم وغزارة المعارف فليس يحدها قلمي الا بنوع من الاشارة اليها . فهذا الرجل سلطة على دقائق المعاني وتحديدها وابرازها في صورها اللائقة بها كأن كل معنى قد خلق له . وله قوة في حل ما يعضل منها

كأنهُ سلطان شديد البطش فنطرق منه تفكك عقدها . مَن سوسون ينق
اليه يدخل للبحث فيه كأنه صنع يديه فيأتي على اطرافه ويحيط بجميع اكنافه
ويكشف ستر الغموض عنه فيظهر المستور منه واذا تكلم في الفنون حكم
فيها حكم الواضعين لها ثم له في باب الشعريات قدرة على الاختراع كأن
ذهنه عالم الصنع والابداع ولهُ لسن في الجدل وحذق في صناعة الحجة لا يلحقه
فيها احد الا ان يكون في الناس من لا نعرفه وكفاك شاهداً على ذلك انهُ
ما خاصم احداً الا خصمه ولا جادله عالم الا الزمه وقد اعترف لهُ الاروبيون
بذلك بعد ما اقر له الشرقيون وبالجملة فاني لو قلت ان ما آتاه الله من
قوة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة هو اقصى ما قدّر لغير الانبياء لكنت
غير مبالغ . ذلك فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم

اما اخلاقه فسلامة القلب سائدة في صفاته ولهُ حلم عظيم يسع ما شا الله
ان يسع الى ان يدنو منه احد ليمس شرفه او دينه فينقلب الحلم الى غضب
تنقض منهُ الشهب فبينما هو حليم أوّاب اذا هو ا ' تا' ب رهو كريم يذل
ما بيده قوي الاعتماد على الله لا يبالي ما تأتي به صروف الدهر عظيم الامانة
سهل لمن لاينهُ صعب على من خاشنهُ طموح الى مقصده السياسي الذي قدمناه
اذا لاحت لهُ بارقة منهُ تعجل السير للوصول اليه وكثيراً ما كان التعجل
علة الحرمان وهو قليل الحرص على الدنيا بعيد من الغرور بزخارفها ولوع
بعظائم الامور عزوف عن صغارها شجاع مقدام لا يهاب الموت كأنهُ لا
يعرفهُ الا انهُ حديد المزاج وكثيراً ما هدمت الحدة ما رفعتهُ الفطنة الا انهُ
صار اليوم في رسوخ الاطواد وثبات الافناد فخور بنسبه الى سيد المرسلين
صلى الله عليه وسلم لا يعد لنفسه مزية ارفع ولا عزاً امنع من كونه سلالة ذلك
البيت الطاهر وبالجملة ففضلهُ كعلمهِ والكمال لله وحده

أما خلقتهُ فهو يمثل لناظره عربياً محضاً من اهالي الحرمين فكأنما قد
حفظت لهُ صورة آبائهِ الاولين من سكنة الحجاز حماه الله . ربعة في طوله وسط
في بنيتهِ قمحي في لونه عصبي دموي في مزاجه عظيم الرأس في اعتدال عريض

الجبهة في تناسب واسع العينين عظيم الاحداق ضخم الوجنات رحب الصدر جليل في النظر هش بش عند اللقاء قد وفاه الله من كمال خلقه ما ينطبق علي كمال خلقه بقي علينا ان نذكر له وصفا لوسكتنا عنهُ سئلنا عن اغماله وهوانهُ كان في مصر يتوسع في اتيان بعض المباحات كالجلوس في المتنزهات العامة والاماكن المعدة لراحة المسافرين وتفرج المحزونين لكن مع غاية الحشمة وكمال الوقار وكان مجلسة في تلك المواضع لا يخلو من الفوائد العلمية فكان بعيداً من اللغو منزهًا عن اللهو وكان يوافيه فيها كثير من الامراء وار باب المقامات العالية واهل العلم وهذا الوصف ربما عده عليه بعض حاسديه لكن الله يحب ان تؤتي رخصه كما يحب ان تؤتي عزائمه واي غضاضة على المرء المؤمن في ان يفرج بعض همه بما اباح الله له . هذا مجمل من احوال السيد جمال الدين الافغاني اتينا به دفعًا لما افتراه عليه الجاهلون ولو سلكنا في تاريخه مسلك التفصيل لادى بنا الى التطويل وانا نتبع هذا بما كتبه سليم افندي العنحوري تخطئة لنفسه فيما نقلهُ في شرح سحر هاروت والمطلع على ما كتبناه يعلم خطأهُ في جل ما رواه

هذا ما نشر سليم افندي العنحوري في جريدة لسان الحال والجنة بحروفه

لا يخفى اننا كنا اتينا في حاشية كتابنا (سحر هاروت) على شيء من ترجمة الحكيم الشرقي الغزير المادة السيد جمال الدين الافغاني الطائر الصيت وأبنّا في عرض قصصنا المحة مما تلقيناه عن بعض المصريين والسوريين من سوء عقيدته ووهن دينه مما كانَ مدعاة اسفنا و باعث استغرابنا ثم اسعدنا البخت بان التقينا هاته الايام بصديقنا المجلي بحلبة الفضل الحائز قصب السبق في مضماري العقل والنقل الشيخ محمد عبده نزيل بيروت واعزّ اخلاء الحكيم المشار اليه فجال بيننا حديث افضى الى البحث بما يرويه عنه بعض الناس ورويناه نحن عنهم فأوضح لنا بدلائل ناهضة وبراهين داحضة ان

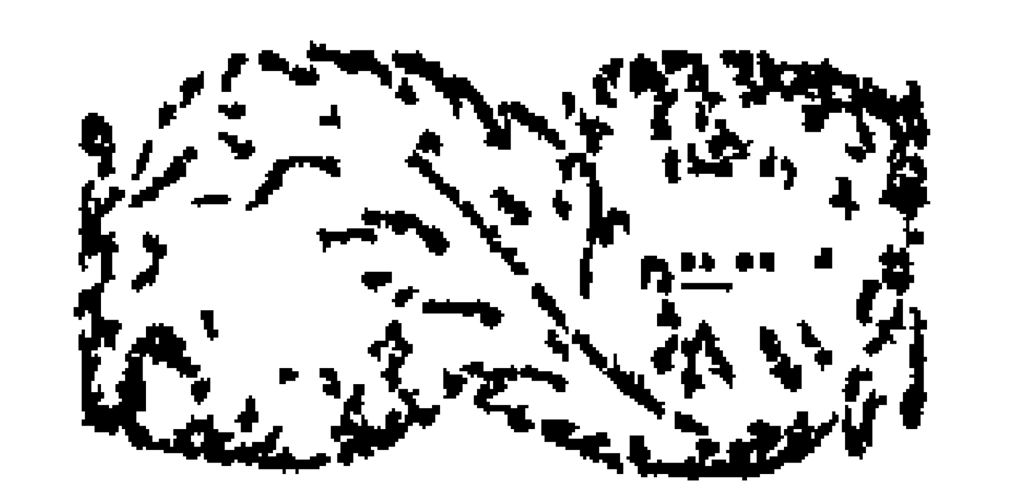
ما تشاقلة الالسن من هذا القبيل ما كان الا من آثار ما رماه به بعض من غمرتهم اياديه فحاروه بالكنود بعني بهم قوماً كرة تزلفوا اليه فاغتر ببراقع السنتهم ووطأ لهم جانب الانس سالكاً في سبيل اسعادهم كل سبيل و... دارت عليه الدوائر وتحولت الاحوال اخذوا يتبجحون بالتمرد عليه و... ما أشربوا من الكفر اليه وبين لنا ماجلى اسلوب ان المباحث ... يدور بها لسانه اسآء مناظراته الجدلية في بيان عقائد ... منها اظهار حقائق النحل والبدع بمعزل عن الاعتقاد بها ... مع تعقيبها بالرد عليها واقامة الحجج على بطلانها ثم تأييداً لما ... على رسالة مسوحة بقلم السيد المشار اليه سوأ بها اصحاب المادة ... من اي فريق كانوا وبين قبح طريقتهم بعبارة حيث عرف ... منها هنا مبحثه في ضرورة اعتقاد الالوهية لسعادة الانسان

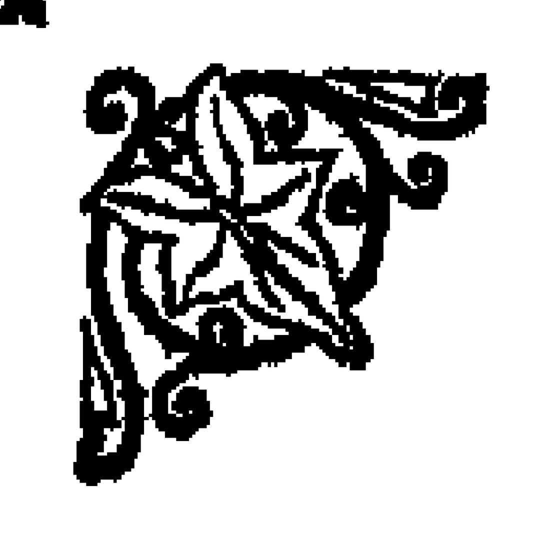
قال بعد بيان وجوه زعموها كافية لاصلاح النوع البشري ورد ما زعموه ﴿ وادن لم يبق للشهوات قامع ولا للاهواء رادع الا الايمان ... عالماً بضمرات القلوب ومطويات الانفس سامي القدرة واسع الحول ... مع الاعتقاد بانه قد قدّر للخير والشر جزاء يوفاه مستحقه في حياة بعد هذه الحيوة السرمدية ﴾ ثم قال ﴿ فلم تبق ريبة في ان الدين هو السبب ... لسعادة الانسان فلو قام الدين على قواعد الامر الالهي الحق و... من اباطيل من يزعمونه ولا يعرفونه فلا ريب يكون سبباً في السعادة التامة والنعيم الكامل ويذهب بمعتقديه في جواد ... ويصعد بذويه الى ذروة الفضل الظاهري والباطني ويروع ... لطلابها بل يفيض على المستمدين من ديم الكمال العقلي والمعنوي ما ... بسعادة الدارين ﴾ ثم اتى بعد هذا في مزايا الدين الاسلامي ... يطول بيانه ويعلمه من اطلع على تلك الرسالة هذا كله بعد ما قال في وصف الماديين (انهم كيفما ظهروا وفي اي صورة تمثلوا وبين اي قوم نجموا كانوا صدمة شديدة على بناء قومهم وصاعقة مجتاحة لثمار اعمالهم

وصدعاً متفاقماً في سية حيلهم يميتون القلوب الحية باقوالهم ويمتون السم في الارواح بآرائهم ويزعزعون راسخ النظام بمساعيهم فما رزئت بهم امة ولا مني بشرهم حبل الا انتكث فتله وتبددت آحاده وفقد قوام وجوده . ثم امثال ني شان ذلك الى حد لم يبق معه محل للريبة في كمال اعتقاده وهل ...

فاسدينا الذلك حمة الطرف وسارعنا لا داعته لسان الصحف شأن ... الحق العادل وقد اماتنا حق الادب ... هذا الرجل الخطير من ان تداولة ألسنة من لا يعرفه خطأ وافتراء

والله يتولى الصادقين






فهرسة الكتاب






رسالة

في ابطال مذهب الدهريين وبيان مفاسدهم واثبات ان الدين اساس المدنية والكفر فساد العمران

من تأليف

حضرة الامام الشهير الاستاذ السيد جمال الدين الحسيني الافغاني نفع الله بعلومه . نقلها من اللغة الفارسية الى اللغة العربية العلامة الاستاذ الشيخ محمد عبده افندي المصري بمساعدة عارف افندي ابي تراب الافغاني



طبعت في بيروت سنة ١٣٠٣




بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على الهداية . ونعوذ به من الغواية . ونصلي ونسلم على خاتم رسله . وآله وصحبه هداة سبله . وبعد فقد أتيح لي الاطلاع على رسالة فارسية في نقض مذهب الطبيعيين من تصنيف العالم الكامل . محيط المعرفة الشامل الشيخ جمال الدين الحسيني الافغاني . اما الشيخ فله من لسان الصدق ورفيع الذكر ما لا يحتاج معهُ الى الوصف واما الرسالة فعلى ايجازها قد جمعت لارغام الضالين وتأييد عقائد المؤمنين ما لم يجمعهُ مطوّل في طوله وحوت من البراهين الدامغة والحجج البالغة ما لم يحوهِ منصل على تفصيله * دعاه الى تصنيفها حمية جاشت بنفسه ايام كان في البلاد الهندية عند ما رأى حكومة الهند الانكليزية تمد في الغي جماعة من سكان تلك البلاد اغراء لهم بنبذ الاديان وحل عقود الايمان وإن كثيرًا من العامة فتنوا بآرائهم وخدعوا عن عقائدهم وكثر الاستفهام منهُ عن حقيقة ما تدعيه تلك الجماعة الضالة وممن سأله عن ذلك حضرة الفاضل مولوي محمد واصل مدرس الفنون الرياضية بمدرسة الاعزة بمدينة حيدرآباد الدكن من بلاد الهند فاجابه الشيخ برقيم صغير يعده فيهِ بانشاء رسالة في بيان ما كثر السوال عنه . وقد حداني علو الموضوع وسمو منزلة الرسالة منهُ الى الاجتهاد في نقلها من لغتها الى اللغة العربيـة فتم لي ذلك بمساعدة عارف افنـدي الافغاني تابع الشيخ المؤلف ورجونا بذلك تعميم الفائدة وتكميل العائدة ان شاء الله وانا نذكر ترجمة الرقيمين مبتدئين برقيم مولوي محمد واصل وهو

١٩ محرم سنة ١٢٩٨ ﴿ بعد رسوم المخاطبة ﴾

يقرع آذاننا في هذه الايام صوت نيشر نيشر وانه ليصل الينا من جميع الاقطار الهندية فمن الممالك الغربية والشمالية و ﴿ أَوَدَه ﴾ و ﴿ بنجاب ﴾ و ﴿ بنجالة ﴾ و ﴿ السند ﴾ و ﴿ حيدار اباد الدكن ﴾ ولا تخلو بلدة اى

قصبة من جماعة يلقبون بهذا اللقب ﴿ نيشري ﴾ ويظهر لنا ان من يعلق عليهم هذا اللقب بنمو عددهم على امتداد الزمان خصوصاً بين المسلمين ولقد سالت اكثر من لاقيت من هذه الطائفة * ما حقيقة النيشرية * وفي أي وقت كان ظهور النيشريين * وهل من قصد هذه الطائفة بمسلكها الجديد عندنا ان تقوّم عماد المدنية ولا تعدو هذا المقصد أو لها مقاصد اخرى * وهل طريقتهم تنافي اصول الدين المطلق او هي لا تعارضه بوجه ما * وأيّ نسبة بين آثار هذا المشرب وآثار مطلق الدين في عالم المدنية والهيئة الاجتماعية الانسانية * فان كانت هذه الطريقة من النحل القديمة فلم لم تنشر بيننا ولم نعهد لها دعاة الا في هذه الاوقات * وان كانت جديدة فما الغاية من احداثها وأي اثر يكون عن الاخذ بها

ولكن لم يفدني احد منهم عما سألت بجواب شاف كاف ولهذا التمس من جنابكم العالي ان تشرحوا حقيقة النيشرية والنيشريين بتفصيل ينقع الغلة ويشفي العلة والسلام اه

وهذا رقيم السيد جمال الدين الحسيني الافغاني جواباً عن الرقيم السابق

محي الحريز

النيشر اسم للطبيعة وطريقة النيشر هي تلك الطريقة الدهرية التي ظهرت ببلاد اليونان في القرن الرابع والثالث قبل ميلاد المسيح ومقصد ارباب هذه الطريقة محو الاديان ووضع اساس الاباحة والاشتراك في الاموال والابضاع بين الناس عامة وقد كدحوا لاجراء مقصدهم هذا وبالغوا في السعي اليه وتلوّنوا لذلك في الوان مختلفة وتقلبوا في مظاهر متعددة وكيفما وجدوا في أمة افسدوا أخلاقها وعاد عليهم سعيهم بالزوال

وأيما ذاهب ذهب في غور مقاصد الآخذين بهذه الطريقة تجلى له ان لا نتيجة لمقدماتهم سوى فساد المدنية وانتقاض بناء الهيئة الاجتماعية الانسانية . اذ لا ريبة في ان الدين مطلقاً هو سلك النظام الاجتماعي ولن يستحكم اساس للتمدن بدون الدين البتة . وأوّل تعليم لهذه الطائفة اعدام الاديان

وطرح كل عقد ديني

وإما عدم شيوع هذه الطريقة وقلة سلاكها مع طول الزمن على نشأتها فسببه ان نظام الالفة الانسانية وهو من آثار الحكمة الالهية السامية كانت له الغلبة على اصولها الواهية وشريعتها الفاسدة وبهذا السر الالهي انبعثت نفوس البشر لمحو ما ظهر منها ومن هذا لم يسبق لهم ثبات قدم ولم تقم لهم قائمة امر ولا في وقت من الاوقات

ولتفصيل ما ذكرنا نتقدم لانشاء رسالة صغيرة ارجوان تكون مقبولة عند العقل الغريزي لذلك الصديق الفاضل وان تنال من ذوي العقول الصافية نظرة الاعتبار

وهذه هي الرسالة

حقيقة مذهب النيشرية والنيشريين و بيان حالهم

بسم الله الرحمن الرحيم

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب

الدين قوام الأمم وبه فلاحها. وفيه سعادتها وعليه مدارها.

النيشرية جرثومة الفساد. وأرومة الأداد. وخراب البلاد. وبها هلاك العباد.

شاع لفظ النيشرية حتى طبق البلاد الهندية في هذه الايام وإن كانت هذه الكلمة دائرة في المحافل سيارة في المجامع وللعامة والخاصة فيها مذاهب شتى وطرائق وهم. فالغالب منهم يخبط على بعد من حقيقتها في غفلة عن اصل وضعها

لهذا رأيت من الحق ان اشرح مفهومها واكشف المراد منها وارفع الستار عن حال النيشريين من بداية امرهم وأعرض للناظرين شيئاً من مفاسدهم وما الحقوا بالنوع الانساني من المضار التي خبث اثرها وساء ذكرها مستنداً

في ذلك على التاريخ الصحيح آخذاً من البرهان العقلي بدليل يثبت ان هذه الطائفة على اختلاف مظاهرها لم يفش رأيها في أمة من الامم الا كان سبباً في اضمحلالها وانقراضها

أثبت ثقاة المورخين ان حكماء اليونان انقسموا في القرن الرابع والثالث قبل المسيح الى فئتين . ذهبت احداهما الى وجود ذات مجردة عن المادة والمدة مخالفة للمحسوسات في لوازمها منزهة عن لواحق الجسمانية وعوارضها واثبتت ان سلسلة الموجودات مادية ومجردة تنتهي الى موجود مجرد واحد من جميع الوجوه مبرأ الذات عن التأليف والتركيب ومحال عند العقل تصور التركيب فيه . وجوده عين حقيقته وحقيقته عين وجوده وهو المصدر الاول والموجد الحقيقي والمبدع لجميع الكائنات مجردة كانت او مادية * واشتهرت هذه الطائفة * بالمتألهين ﴿ الخاضعين لله ﴾ ومنهم فيثاغورس وسوقراط وافلاطون وأرسطو ومن اهل مذهبهم كثير * وذهبت اخرى الطائفتين الى نفي كل موجود سوى المادة والماديات وأن وصف الوجود مختص بما يدرك بالحواس الخمس لاتتناول شيئاً وراءه وعرفت هذه الطائفة . بالماديين . ولما سئلوا عن منشا الاختلاف في صور المواد وخواصها والتنوع الواقع في آثارها نسبه الاقدمون منهم الى طبيعتها . واسم الطبيعة في اللغة الفرنسوية ﴿ ناتور ﴾ وفي الانكليزية ﴿ نيشر ﴾ ولهذا اشتهرت هذه الطائفة عند العرب بالطبيعيين . وعند الفرنساويين باسم ﴿ ناتوراليسم ﴾ أو ﴿ ماتيرياليسم ﴾ الاول من حيث هي طبيعة والثاني من حيث هي مادية

ثم اختلف هولاء بعد اعتماد اصلهم هذا في تكوين الكواكب وتصوير الحيوانات وانشاء النباتات فذهب فريق منهم الى ان وجود الكائنات العلوية والسفلية ونشأة المواليد على ما نرى انما هو من الاتفاق واحكام الصدفة وعلى ذلك اتقان بنائها واحكام نظامها لامنشأ له الا الصدفة . كأنما أدت بهم سخافة الوهم الى تجويز الترجح بلا مرجح وقد أحالته بداهة العقل ورأس القائلين بهذا القول ذيمقراطيس . ومن رأيه ان العالم اجمع

ارضيات وساويات مولف من اجزاء صغار صلبة متحركة بالطبع ومن حركتها هذه ظهرت اشكال الاجسام وهيئاتها بقضاء العناية المطلقة

وذهب فريق آخر الى ان الاجرام السماوية والكرة الارضية كانت على هيئتها هذه من ازل الآزال ولا تزال ولا ابتداء لسلسلة النباتات والحيوانات وزعموا ان في كل بزرة نباتا منذ مجا فيها وفي كل نبات بزرة كامنة ثم في هذه البزرة الكامنة نبات وفيه بزرة الى غير النهاية وعلى هذا زعموا ان في كل جرثومة من جراثيم الحيوانات حيوانًا تام التركيب وفي كل حيوان كامن في الجرثومة جرثومة اخرى يذهب كذلك الى غير نهاية

وغفل اصحاب هذا الزعم عما يلزمه من وجود مقادير غير متناهية في مقدار متناه وهو من المحالات الأولية

وزعم فريق ثالث ان سلسلة النباتات والحيوانات قديمة بالنوع كما ان الاجرام العلوية وهيآتها قديمة بالشخص ولكن لاشيء من جزئيات الجراثيم الحيوانية والبزور النباتية بقديم وانما كل جرثومة وبزرة هي بمنزلة قالب يتكون فيه ما يشاكله من جرثومة وبزرة اخرى

وفاتهم ملاحظة ان كثيرا من الحيوانات الناقصة الخلقة قد يتولد عنها حيوان تام الخلقة وكذلك الحيوان التام الخلقة قد يتولد عنه ناقصها او زائدها

ومال جماعة منهم الى الابهام في البيان فقالوا ان انواع النباتات والحيوانات تقلبت في اطوار وتبدلت عليها صور مختلفة بمرور الزمان وكرور الدهور حتى وصلت الى هيئاتها وصورها المشهودة لنا واول النازعين الى هذا الراي ﴿ ابيقور ﴾ احد اتباع ﴿ ديوجينس الكلبي ﴾ ومن مزاعمه ان الانسان في بعض اطواره كان مثل الخنزير مستور البشرة بالشعر الكثيف ثم لم يزل ينتقل من طور الى طور حتى وصل بالتدريج الى ما نراه من الصورة الحسنة والخلق القويم ولم يقم دليلا ولم يستند على برهان فيما زعمه من ان مرور الزمان علة لتبدل الصور وترقي الانواع .

ولما كشفت علوم الجيولوجيا ﴿ طبقات الارض ﴾ عن بطلان القول

بقدم الانواع رجع المتأخرون من الماديين عنه الى القول بالحدوث ثم اختلفوا في بحثين . الاول بحث تكوّن الجراثيم النباتية والحيوانية . فذهب جماعة الى ان جميع الجراثيم على اختلاف انواعها تكونت عند ما اخذ التهاب الارض في التناقص ثم انقطع التكوّن بانقضاء ذلك الطور الارضي وذهبت الاخرى الى ان الجراثيم لم تزل تتكون حتى اليوم خصوصاً في خط الاستواء حيث تشتد الحرارة

وعجزت كلتا الطائفتين عن بيان السبب لحياة تلك الجراثيم حياة نباتية أو حيوانية خصوصاً بعد ما تبين لهم ان الحياة فاعل في بسائط الجراثيم موجب لالتئامها حافظ لكونها وان قوتها الغاذية هي التي تجعل غير الحي من الاجزاء حيّاً بالتغذية فاذا ضعفت الحياة ضعف تماسك البسائط وتجاذبها ثم صارت الى الانحلال

وظن قوم منهم ان تلك الجراثيم كانت مع الارض عند انفصالها عن كرة الشمس

وهو ظن عجيب لا ينطبق على اصلهم من ان الارض عند الانفصال كانت جذوة نار ملتهبة وكيف لم تحترق تلك الجراثيم ولم تمح صورها في تلك النيران المستعرة

والبحث الثاني من موضع اختلافهم صعود تلك الجراثيم من حضيض نقصها الى ذروة كمالها وتحولها من حالة الخداج (النقص) الى ما نراه من الصور المتقنة والهيئات المحكمة والبنى الكاملة . فمنهم قائل بان لكل نوع جرثومة خاصة به ولكل جرثومة طبيعة تميل بها الى حركة تناسبها في الاطوار الحيوية وتجذب اليها ما يلائمها من الاجزاء الغير الحية ليصير جزءاً لها بالتغذية ثم تجلوه بلباس نوعه . وقد غفلوا عما اثبته التحليل الكيماوي من عدم التفاوت بين نطفة الانسان ونطفة الثور والحمار مثلا وظهور تماثل النطف في العناصر البسيطة . فما منشأ التخالف في طبائع الجراثيم مع تماثل عناصرها . ومنهم ذاهب الى ان جراثيم الانواع كافة خصوصاً الحيوانية متماثلة في الجوهر متساوية في الحقيقة

وليس بين الانواع تخالف جوهري ولا انفصال ذاتي ومن هذا ذهب صاحب هذا القول الى جواز انتقال الجرثومة الواحدة من صورة نوعية الى صورة نوعية اخرى بمقتضى الزمان والمكان وحكم الحاجات والضرورات وقضاء سلطان القواسر الخارجية

ورأس القائلين بهذا القول ﴿ دروين ﴾ وقد الف كتابا في بيان ان الانسان كان قردًا ثم عرض له التنقيح والتهذيب في صورته بالتدريج على تتالي القرون المتطاولة و بتاثير الفواعل الطبيعية الخارجية حتي ارتقى الى مرزيخ ﴿ أوران أوتان ﴾ ثم ارتقى من تلك الصورة الى اول مراتب الانسان فكان صنف اليميم وسائر الزنوج ومن هناك عرج بعض افراده الى افق أعلى وارفع من افق الزنجيين فكان الانسان القوقاسي .

وعلى زعم دروين هذا يمكن ان يصير البرغوث فيلا بمرور القرون وكر الدهور وان ينقلب الفيل برغوثًا كذلك

فان سئل دروين عن الاشجار القائمة في غابات الهند والنباتات المتولدة فيها من ازمان بعيدة لا يحددها التاريخ الا ظنًّا واصولها تضرب في بقعة واحدة وفروعها تذهب في هواء واحد وعروقها تسقى بماء واحد فما السبب في اختلاف كل منها عن الآخر في بنيته واشكال اوراقه وطوله وقصره وضخامته ورقته وزهره وثمره وطعمه ورائحته وعمره فأي فاعل خارجي اثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء . اظن لا سبيل الى الجواب سوى العجز عنه .

وان قيل له هذه اسماك بحيرة أورال وبحر كسبين مع تشاركها في المآكل والمشرب وتسابقها في ميدان واحد نرى فيها اختلافًا نوعيًا وتباينا بعيدًا في الالوان والاشكال والاعمال فما السبب في هذا التباين والتفاوت فلا اراه يلجأ في الجواب الا الى الحصر (بالتحريك العجز عن الكلام)

وهكذا لو عرضت عليه الحيوانات المختلفة البنى والصور والقوى والخواص وهي تعيش في منطقة واحدة ولا تسلم حياتها في سائر المناطق أو الحشرات

المتباينة في الخلقة المتباعدة في التركيب المتولدة في بقعة واحدة ولا طاقة لها على قطع المسافات البعيدة لتجلو الى تربة تخالف تربتها فماذا تكون حجته في علة اختلافها . كأنها تكون كسفا لا كشفا

بل اذا قيل له أي هادهدى تلك الجراثيم فى نقدها وخداجها واي مرشد ارشدها الى استتمام هذه الجوارح والاعضاء الظاهرة والباطنة ووضعها على مقتضى الحكمة وإيداع كل منها قوة على حسبه ونوطها بكل قوة في عضو أداء وظيفة وإيناء عمل حيوي ما عجز الحكماء عن درك سره ووقف علماء الفسولوجيا دون الوصول الى تحديد منافعه وكيف صارت ... الصماء معلما لتلك الجراثيم وهاديا خبيرا لطرق جميع الكمالات الصورية والمعنوية لا ريب انه يقع في موج القنفذ وبتكس بين امواج الحيرة يدفعه ريب ويتلقاه شك الى ابد الآبدين

وكأنى بهذا المسكين وما رماه فى مجاهيل الأوهام ومهامه الخرافات الأقرب المشابهة بين القرد والانسان وكأنّ ما أخذ به من الشبه الواهية ألهية يشغل بها نفسه عن آلام الحيرة وحسرات العماية وانا نورد شيئا مما تمسك به

فمن ذلك ان الخيل في سيبريا ربلاد الروسية اطول واغزر شعرا من الخيل المولدة في البلاد العربية وانما علته ذلك الضرورة وعدمها

ونقول ان السبب فيما ذكره هو عين السبب لكثرة النبات وقلته في بقعة واحدة لوقتين مختلفين حسب كثرة الامطار وقلتها ووفور المياه ونزورها أو هو علة النحافة ودقة العود فى سكان البلاد الحارة والضخامة والسمن في اهل البلاد الباردة بما يعترى البدن من كثرة التحلل في الحرارة وقلته في البرودة

ومن واهياته ما كان يرويه (دروين) من ان جماعة كانوا يقطعون أذناب كلابهم فلما واظبوا على عملهم هذا قرونا صارت الكلاب تولد بلا أذناب كأنه يقول حسب لم تعد للذنب حاجة كفت الطبيعة عن هبته .

وسل صمت أذن هذا المسكين عن سماع خبر العبرانيين والعرب وما يجرونه

من الختان الوفًا من السنين لا يولد مولود حتى يختن والى الان لم يولد واحد منهم مختونًا الا لا عجاز

ولما ظهر لجماعة من متأخري الماديين فساد ما تمسك به اسلافهم نبذوا آراءهم واخذوا طريقًا جديدة فقالوا ليس من الممكن ان تكون المادة العارية عن الشعور مصدرا لهذا النظام المتقن والهيئات البديعة والأشكال المعجبة والصور الأنيقة وغير ذلك مما خفي سره وظهر اثره ولكن العلة في نظام الكون علويه وسفليه والموجب لاختلاف الصور والمقدّر لأشكالها وأطوارها وما يلزم لبقائها تتركب من ثلاثة اشياء ﴿ متير ﴾ و ﴿ فورس ﴾ و ﴿ انتليجانس ﴾ اي مادة وقوة وادراك

وظنوا ان المادة بما لها من القوة وما يلابسها من الادراك تجلت وتتجلى بهذه الأشكال والهيئات وعندما تظهر بصور الاجساد الحية نباتية كانت او حيوانية تراعي بما لابسها من الشعور ما يلزم لبقاء الشخص وحفظ النوع فتنشئ لها من الأعضاء والآلات ما يفي بأداء الوظائف الشخصية والنوعية مع الالتفات الى الازمنة والامكنة والفصول السنوية . هذا أنفس ما وجدوا من حلية لمذهبهم العاطل بعد ما دخلوا الف جحر وخرجوا من الف نفق وما هو باقرب الى العقل من سائر أوهامهم ولا هو بالمنطبق على سائر اصولهم فانهم يرون كسائر المتأخرين أن الاجسام مركبة من الأجزاء الديمقراطيسية . ولا ينطبق رأيهم الجديد في علة النظام الكونيّ على رأيهم في تركب الأجسام

وذلك لانه يلزم على القول بشعور المادة أن يكون لكل جزء ديمقراطيسي شعور خاص كما يلزم ان تكون له قوة خاصة ينفصل بهما عن سائر الأجزاء اذ لايمكن قيام العرض الواحد وحدة شخصية بمحلين فلا يقوم علم واحد بجزئين ولا بأجزاء

وبعد هذا فاني سائلهم كيف اطلع كل جزء من أجزاء المادة مع انفصالها على مقاصد سائر الاجزاء وبأية آلة أفهم كل منها باقيها ما ينويه من مطلبه واي برلمان ﴿ مجلس الشوري ﴾ او أيّ سنات ﴿ مجلس

الشيوخ ❊ عقدت للتشاور في ابتداع هـــذه المكوّنات العالية التركيب البديعة التأليف وأنّى لهذه الاجزاء ان تعلم وهي في بيضة العصفور ضرورة ظهورها في هيئة طير يأكل الحبوب فمن الواجب أن يكون له منقار وحوصلة لحاجته في حياته اليها واذا كانت في بيض الشاهين والعقاب فمن أين لها العلم بأنها تقوّم طيرًا يأكل اللحوم فلا بدّ له من منسر ومخالب يصول بهما في الصيد لاقتناص ما يحتاج اليه من حيوان ثم ينسر لحمه ليأكله

ومن أين لها ان تعلم وهي في مشيمة الكلبة انها ستكون على صورة أنثى الجرو ثم تكبر حتى تبلغ حد الادراك ثم تكون حبلى لوقت من الاوقات وقد تلد أجراء متعددة في زمن واحد فهي تهيئ لطبيها حلمات كثيرة على حسب حاجة أجرائها

ومن هذه الاجزاء المتبدّدة ان تدرك حاجة الحيوانات الى القلب والرئة والمخ والمخيخ وسائر الاعضاء والجوارح . لو عقلت هذه الطائفة ما رمي اليه سوآلي هذا لارتكست في افكارها وانقلبت الى تيهور من الحيرة لاترفع منه رأسًا ولا تحير جوابًا الا ان يتخبطهم شيطان الجهل فيقولون ولا يعون إن لكل جزء من هذه الاجزاء الديمقراطيسية علما بجميع ما كان وما يكون وبجميع ما في العالم من الاجزاء علويًا كان او سفليًا ولكل منها حرص على مراعاة نظام الكون واركانه فيتحرك كل منها للانضمام الى الآخر على وفق ما يربطه من المصلحة حتى لايقع الخلل في شيء من نظم العالم عامًّا كان او خاصًّا وبهذا قام العالم على ناموس واحد

فان افضت بهم العماية الى هذا القول قلنا اولاً يلزمهم ان كل جزء ديمقراطيسي يحتوي على ابعاد غير متناهيــة وهو في صغره لايدرك ولا بالمكرسكوب ❊ النظارة المعظمة ❊ وبيان اللزوم ان العلم عندهم انما هو بارتسام الصور المعلومة في ذات العالم وهو مادي في موضوعنا فكل صورة معلومة تأخذ منه بعداً بمقدارها والصور العلمية على هذا الزعم غير متناهية وكلها يرتسم في مادّة الجزء العالم فيكون في كل جزء وهو متناه الى غاية الصغر أبعاد غير

متناهية للصور الغير المتناهية وهذا مما تبطله بداهة العقل

وثانيًا ان كانت الاجزاء الديمقراطيسية بالغة من العلم هذا المبلغ وهي من القوة على نحو اذلا قوة الا بها على رأيهم فلم لم تبلغ الكائنات وهي غاية ما يمكن لها من الكمال ولم تنزل بذواتها الآلام والاوصاب ثم تعاني العناء في احتمالها او التخلص منها ولم قصر ادراك الانسان وادراك سائر الحيوانات، وهو عين ادراك هذه الاجزاء على هذا المذهب عن اكتناه حالها اسبابها ويعجز عن حفظ حياتها

والعجب من هذا ان المتأخرين من الماديين بعد ما صالحوا كل خرافة لتأييد مذهبهم حاصوا الى الحيرة في بعض الامور فلم يستطيعوا تطبيقها على اصل من اصولهم الفاسدة لا اصل النشوء ولا اصل الشعور وذلك عند ما رأوا شيئين يختلفان في الخواص وعناصرهما تظهر عند التحليل متماثلة ولم يجدوا المحيص عن الورطة بعد ما قدموا من الترهات الا بالحكم على الاجزاء الديمقراطيسية رجمًا بالغيب بانها ذوات اشكال مختلفة وعلى حسب الاختلاف في الاشكال والاوضاع كان الاختلاف في الخواص

وبالجملة فهذه عشرة مذاهب اختلف اليها منكروا الالوهية الزاعمون ان لا وجود للصانع الاقدس وهم المعروفون بين شيعهم او عند الالهيين بالطبيعيين والماديين والدهريين وان شئت قلت نيچريين وما ورا لسمبيين وما تيريالسميين وسنأتي على تفصيل مذاهبهم ودحض حججها بالبينات العقلية في رسالة اوسع من هذه ان شاء الله تعالى

ولا يظنن ظان انا نقصد من مقالنا هذا تشنيعًا بهولاء البياجواتية الهنديين (البياجو اسم ايطالياني اشتهر في الهند لمن يقلد الدهر في اللعب بحركات غير متسقة لاضحاك الناظرين ويعبر عنه في العربية بالخلابيس واصله الشيء لا نظام له والطبيعيون في الهند يمثلون احوال الدهريين في اوربا تمثيلاً مضحكًا) كلاّ ان هولاء لا نصيب لهم من العلم بل ولا من الانسانية فهم بعيدون من مواقع الخطاب ساقطون عن منزلة اللوم والاعتراض . نعم لو أريد

انشاء تياترو ﴿ ملهى ﴾ او ﴿ كطنبلي ﴾ ﴿ نوع من اللعب يشخصون فيه احوال ملوك الهند الاقدمين ﴾ لتمثل فيه احوال الامم المتمدنة مست الحاجة الى هولاء لاقامة هذه الألاعيب وانما غرضنا الاصلي اعلان الحق واظهار الواقع والآن نعتمد الشروع في بيان المفاسد التي جلبها الماديون ﴿ البشريون ﴾ على نظام المدنية والمضار التي تضعضع لها بناء الهيئة الاجتماعية وكان منشاؤها فشوّ افكارهم

مظاهر الماديين ومقاصدهم

تخالفت مظاهر الماديين في الامم والاجيال المختلفة فتخالفت اسماؤهم فكانوا تارة يسمون انفسهم بسمات الحكما ويتحلون الحكيم لقبًا لافرادهم . واحيانًا كانوا يتسمون بسيما دافع الظلم ورافع الجور . وكثيرًا ما تقدموا لمسارح الانظار تحت لباس عرّاف الاسرار وكشفة الحقائق والرموز والواصلين من كل ظاهر الى باطنه ومن كل بارز الى كامنه وقد كانوا يظهرون في اوقات بدعوى السعي في تطهير الاذهان من الخرافات وتنوير العقول بحقائق المعلومات . وتارات يتمثلون في صور محبي الفقراء وحماة الضعفاء وطلاب خير المساكين . وكثيرًا ما تجرأوا على دعوى النبوة ولكن لا على سنن سائر المتنبئين الكذبة كل ذلك توسلاً لاجراء مقاصدهم وترويج مفاسدهم

كيفما ظهر الماديون وفي اية صورة تمثلوا وبين ايّ قوم نجموا كانوا صدمة شديدة على بناء قومهم وصاعقة مجتاحة لاثمارهم وصدعا في بنية جيلهم يميتون القلوب الحية باقوالهم وينفثون السم في الارواح بآرائهم ويزعزعون راسخ النظام بمساعيهم فما رزئت بهم امة ولا مني بشرهم جيل الا انتكث فتله وسقط عرشه وتبددت آحاد الامة وفقدت قوام وجودها

كان الانسان ظلومًا جهولاً . خلق الانسان هلوعًا اذا مسه الشر جزوعًا واذا مسه الخير منوعًا . جبل الانسان على الحرص وكأنه منهوم لشرب الدماء . لم يحرم الانسان من لطف مبدعه فكما أبدعه ألزم الدين وجوده

[illegible] تارثها [illegible]

الانسان في نفوسهم لقد ترقت بها عقولهم وتحلت [illegible] كانت بقاياها [illegible]

لا تزال تشرق على عقولهم بانوار من المعرفة يهتدون بها الى سعادتهم

ويمشون في ضوئها الى مطالب معيشتهم ولم يبطل اثرها في تهذيب اخلاقهم

وكف ايديهم عن التطاول الى الفساد وبهذا كان للاقدمين

من اهل القرون الاولى ما كان لهم من رسوخ الثبات والبقاء

وطائفة النيشرية كلما ظهرت في أمة سعت في قلع تلك الاصول

وافساد تلك الخصال حتى اذا لمع لها بارق من النجاح وهت اركان الامة

وانهارت الى هوّاة الاضمحلال والعدم وهذه الطائفة في الآن كما كانت

تسلك منهج أسلافها الاولين وانا نوضح ذلك بمجمل من البيان

ما افاد الدين من العقائد والخصال

اكسب الدين عقول البشر ثلاث عقائد وأودع نفوسهم ثلاث خصال

كل منها ركن لوجود الامم وعماد لبناء هيئتها الاجتماعية واساس محكم لمدنيتها

وفي كل منها سائق يحث الشعوب والقبائل على التقدم لغايات الكمال

والرقي الى ذرى السعادة ومن كل واحدة وازع قوي يباعد النفوس عن

الشر ويزعها عن مقارفة الفساد ويصدّها عن مقاربة ما يبيدها ويبددها

﴿العقيدة الاولى﴾ التصديق بان الانسان ملك ارضي وهو أشرف

المخلوقات ﴿والثانية﴾ يقين كل ذي دين بان امته اشرف الامم وكل مخالف

له فعلى ضلال وباطل ﴿والثالثة﴾ جزمه بان الانسان انما ورد هذه الحياة الدنيا

لاستحصال كمال يهيئه للعروج الى عالم ارفع واوسع من هذا العالم الدنيوي

والانتقال من دار ضيقة الساحات كثيرة المكروهات جديرة ان تسمى بيت

الاحزان وقرار الآلام الى دار فسيحة الساحات خالية من المولمات لاتنقضي

سعادتها ولا تنتهي مدتها

لايغفل العاقل عما يتبع هذه العقائد الثلاث من الآثار الجليلة في

الاجتماع البشري والمنافع الجمة في المدنية الصحيحة وما يعود منها بالاصلاح

في روابط الالفة واعطاء لكل واحدة من المدخل في بقاء النوع والتعاون بافراده لان يعيش كل منهم مع الآخر بالمسالمة والموادعة والاخذ بهم الامم القصوى في مراقي الكمال النفسي والعقلي

من البيّن ان لكل حقيقة لوازم وخواص لا تزايلها فما يلزم الاعتقاد بان الانسان اشرف المخلوقات ترفّع المعتقد بحكم الضرورة عن الخصال البهيمية واستنكافه عن ملابسة الصفات الحيوانية ولا ريب انه كلما قوي الاعتقاد اشتد به النفور من مخالطة الحيوانات في صفاتها وكلما اشتد هذا النفور سما بروحه الى العالم العقلي وكلما سما عقله اوفى على المدنية واخذ منها باوفر الحظوظ حتى قد ينتهي به الحال الى ان يكون واحدًا من اهل المدينة الفاضلة يحيى مع اخوانه الواصلين منه الى درجته على قواعد المحبة واصول العدالة وتلك نهاية السعادة الانسانية في الدنيا وغاية ما يسعى اليه العقلاء والحكماء فيها

فهذه العقيدة اعظم صارف للانسان عن مضارعة الحمر الوحشية في معيشتها والثيران البرّية في حالتها ومضاربة البهائم السائمة والدواب الهاملة والهوام الراشحة لا تستطيع دفع مضرة ولا التقية من عادية ولا تهتدي طريقًا لحفظ حياتها وتقضي آجالها في دهشة الفزع ووحشة الانفراد

هذه العقيدة أشدُّ زاجر لابناء الانسان عن التقاطع المؤدّي لافتراس بعضهم بعضًا كما يقع بين الاسود الكاسرة والوحوش الضارية والكلاب العاقرة واشد مانع يدفع صاحبها عن مشاكلة الحيوانات في خسائس الصفات وهذه العقيدة أحجى حادٍ للفكر في حركاته وانجح داعٍ للعقل في استعمال قوته واقوى فاعل في تهذيب النفوس وتطهيرها من دنس الرذائل

ان شئت فارم بنظر العقل الى قوم لا يعتقدون هذا الاعتقاد بل يظنون ان الانسان حيوان كسائر الحيوانات ثم تبصر ماذا يصدر عنهم من ضروب الدنايا والرذائل والى أيّ حدّ تصل بهم الشرور وبأيّ منزلة من الدناءة تكون نفوسهم وكيف ان السقوط الى الحيوانية يقف بعقولهم عن

[illegible] على الباطل
[illegible] خالفها [illegible] في [illegible] ومسابقتها
في [illegible] الفضائل الحسنات ولن يبقى جميعها على الرغبة في [illegible]
[illegible] عليها في المزايا الانسانية عقلية كانت او نفسية ومعاشية
كانت او معادية ولا ترضى نفس كل واحد منهم باعطاء الدنية والرضى بالضيم لنفسه او لاحد من بني أمته ولا يسره ان يرى شيئاً من العزة او مقاماً من الشرف لقوم من الاقوام حتى يطلب لأمته افضله واعلاه . ذلك انه بهذا الاعتقاد يرى ابناء قومه أليق واجدر بكل ما يعدّ شرفاً انسانياً

فان جارت صروف الدهر على قومه فأضرعتهم او ثلمت مجدهم او سلبتهم مزية من مزايا الفضل لم تستقر له راحة ولم تهدأ له حمية ولم يسكن له جنان فهو يمضي حياته في علاج ما ألمّ بقومه حتى يأسوه او يموت في أساه .

فهذه العقيدة اقوى دافع للامم الى التسابق لغايات المدنية وأمضى الاسباب بها الى طلب العلوم والتوسع في الفنون والابداع في الصنائع وانها لأبلغ في سوق الامم الى منازل العلاء ومقاوم الشرف من غالب قاسر ومستبد قاهر عادل .

وان اردت فالمح بعقلك حال قوم فقدوا هذا اليقين ماذا تجد من فتور في حركات آحادهم نحو المعالي وماذا ترى من قصور في هممهم عن درك الفضائل وماذا ينزل بقوامهم من الضعف وماذا يحل بديارهم من الفقر والمسكنة والى أيّ هوة يسقطون من الذلة والهوان خصوصاً اذا بغى عليهم الجهل فظنوا انهم ادنى من سائر الملل كطائفة « الدّهير » و « مانك »

ومن مقتضيات الجزم بأن الانسان ما ورد هذا العالم الا ليتزود منه كمالاً يعرج به الى عالم ارفع ويرتحل به الى دار اوسع وجناب أمرع ليمرح واديه ويجني حلبه أنّ من أشربت هذه العقيدة قلبه ينبعث بحكمها وبمساق مباديها لاضاءة عقله بالعلوم الحقة والمعارف الصافية خشية ان يهبط به

الجهل الى شخص يحول دون مطلبه ثم ينصرف همه لابراز ما اودع فيه من القوة السامية والمدارك العقلية والخواص الجليلة باستعمالها فيما خلقت له ليخرجها كمالها من عالم الكمون الى عالم الظهور و يرتقي من درجة القوة الى مكانة الفعل فهو ينفق ساعاته في تهذيب نفسه وتطهيرها من دنس الرذائل ولا يناله التقصير في تقويم ملكاته النفسية و ينزع لكسب المال من الوجوه المشروعة متنكباً عن طرق الخيانة ووسائل الكذب والحيلة معرضاً عن ابواب الرشوة مترفعاً عن الملق الكاذب والخداع [illegible] ثم ينفق [illegible] في الوجه الذي يليق وعلى الوجه الذي ينبغي وبالقدر الذي ينبغي لا يأتي فيه باطلاً ولا يغفل حقاً عاماً او خاصاً

فهذه العقيدة [illegible] للانسان الى المدينة الثابتة المؤسسة على المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة وهذا الاعتقاد اشد ركن للنواميس الاجتماعية التي لا عماد لها الا معرفة كل واحد حقوقه وحقوق غيره عليه والقيام على صراط العدل المستقيم . هذا الاعتقاد انجح الذرائع لتوثيق الروابط بين الامم اذ لا عقد لها الا مراعاة الصدق والخضوع لسلطان العدل في الوقوف عند حدود المعاملات . هذا الاعتقاد نفحة من روح الرحمة الازلية تهب على القلوب ببرد الهدوء والمسالمة فان المسالمة ثمرة العدل والمحبة والعدل والمحبة زهر الاخلاق والسجايا الحسنة وهي غراس تلك العقيدة التي تحيد بصاحبها عن مضارب الشرور وتنجيه من متاعب الشقاء وتعاسة الجد وترفعه الى غرف المدينة الفاضلة وتجلسه على كرسي السعادة

وقد يسهل عليك ان تتخيل جيلاً من الناس حرم هذه العقيدة فكم يبدو لك فيه من شقاق وكذب ونفاق وحيل وخداع و رشوة واختلاس وكم يغشى نظرك من مشاهد الحرص والشره والغدر والاغتيال وهضم الحقوق والجدال والجلاد وكم تحس فيه من جفاء للعلم وعشوة عن نور المعرفة

﴿ الخصال الثلاث ﴾

وأما الخصال الثلاث التي توارثتها الأمم من تاريخ قديم قديماً وإنما طمسها في توسيم طابع الدين فاحداها خصلة الحياء وهو انفعال النفس من إتيان ما يجلب اللائمة ويجني عليها بالتوبيخ وتأثرها من التلبس بما يعد عند الناس نقصاً وفي الحق أن يقال إن تأثير هذه الخلة في حفظ نظام الجمعية البشرية وكف النفوس عن ارتكاب الشنائع اشد من تأثير مئين من القوانين وآلاف من الشرط والمحتسبين فان النفوس اذا مرقت جلباب الحياء وسقطت الى حضيض الخسة والدناءة ولم تبال بما يصدر عنها من الاعمال فأي عقاب يردعها عن المفاسد التي تخل بنظام الاجتماع سوى القتل وقد لاحظ ذلك ﴿ سولون ﴾ حكيم اليونان حيث جعل القتل جزاء كل عمل قبيح حتى الكذبة الواحدة

وخلة الحياء يلازمها شرف النفس وهو مما تدور عليه دائرة المعاملات وتتصل به سلسلة النظام وهو مناط صحة العقود والتزام أحكامها وهو معصم الوفاء بالعهود وهو رأس مال الثقة بالانسان في قوله وعمله وشيمة الحياء هي بعينها شيمة الاباء وسجية الغيرة وإنما تختلف اساميها باختلاف جهاتها وآثارها في ردع النفس عن شيء او حملها على عمل والاباء والغيرة هما مبعث حركات الامم والشعوب لاستفادة العلوم والمعارف وتسنم قمم الشرف والرفعة وتقوية الشوكة وبسط جناح العظمة وتوفير مواد الغنى والثروة

وكل أمة فقدت الغيرة والاباء ... الترقي وإن تسمى لها من اسمائه ما تسمى فهي تعطي الدنية ولا ... تضرب عليها الذلة والمسكنة حتى ينقضي أجلها من الوجود . ملكة الحياء تنتهي اليها روابط الالفة بين آحاد الامة في معاشراتهم ومخالطاتهم فان حبال الألفة انما يحكمها حفظ الحقوق والوقوف عند الحدود ولا يكون ذلك الا بهذه الملكة الكريمة . هذه سجية تزين صاحبها بالآداب وتنفر به عن الشهوات البهيمية وتفيض روح

الاعتدال على حركاته وسكناته وجميع أعماله هذا هو الخلق الفرد الذي ينهض بصاحبه لمجاراة ارباب الفضائل ويجافي به عن مصاجع النقائص ويأنف به عن الرضاء بالجهل والعماوة او الضعة والضراعة . هذا الوصف الكريم هو منبت الصدق ومغرس الامانة وهما معة في قرن . هذا الوصف هو آلة المعلمين والقائمين على التربية والدعاة لمكارم الاخلاق والمولعين بترقية الفضائل صورية ومعنوية يستعملونها في نصائحهم يذكرون بها الغافل ويحرضون الناكل ويوقظون النائم ويقعدون القائم ألا ترى المعلم الحكيم كيف يعظ تلميذه بقوله ألا تستحي من تقدم قرينك عليك وتخلفك عنه فان لم تكن هذه الخصلة فلا أثر للتوبيخ ولا نفع للتقريع ولا نجاح للدعوة فانكشف مما بينا أن هذه الخلة مصــدر لجميع الطيبات ومرجع لكل فضيلة وسلم لكل ترقٍ

ويمكن لنا ان نفرض قوماً هجر الحياء نفوسهم فماذا نرى فيهم سوى المجاهرة بالفحشاء والمنافسة في المنكر وشوس الطباع وسوء الاخلاق والاخلاد الى دنيات الامور وسفاسف الشؤون وكفى بمشهدهم شناعةً أن نرى تغلب الشهوات البهيمية عليهم وتملك الصفات الحيوانية لاراداتهم وتسلطها على افعالهم

﴿ والخصلة الثانية الامانة ﴾ من المعلوم الجليّ أن نظام النوع الانساني قائم بالمعاملات والمعاوضات في منافع الاعمال وروح المعاملة والمعاوضة انما هي الأمانة فان فسدت الأمانة بين المتعاملين بطلت صلات المعاملة وانبترت حبال المعاوضة فاختل نظام المعيشة وافضى ذلك بنوع الانسان الى الفناء العاجل

ثم من البين أن الامم في رفاهتها والشعوب في راحتها وانتظام امر معيشتها محتاجة الى الحكومة أيّ أنواعها اما جمهورية او ملكية مشروطة او ملكية مقيدة والحكومة في أي صورها لا تقوم الا برجال يلون ضروباً من الاعمال فمنهم حرّاسٌ على حدود المملكة يحمونها من عدوان الاجانب عليها ويدافعون الوالج في ثغورها وحفظةٌ في داخل البلاد يأخذون على ايدي

السياسيين جهلة سترا لجهلهم ويميل الى الاجتهاد من فقه او طب او نحوها ومنهم حملة الشرع وعرفاء القانون يجلسون على منصات الاحكام لفصل الخصومات والحكم في المنازعات ومنهم اهل جباية الاموال يحصلون من الرعايا ما فرضت عليهم الحكومة من خراج مع مراعاة قانونها في ذلك ثم يستحفظون ما يحصلون في خزائن المملكة وهي خزائن الرعايا في الحقيقة وان كانت مفاتيحها بأيدي خزنتها ومنهم من يتولى صرف هذه الاموال في المنافع العامة للرعية مع مراعاة الاقتصاد والحكمة كانشاء المدارس والمكاتب وتمهيد الطرق وبناء القناطر واقامة الجسور واعداد المستشفيات ويودي أرزاق سائر العاملين في شؤون الحكومة من الحراس والحفظة وقضاة العدل وغيرهم حسبما عين لهم وهذه الطبقات من رجال الحكومة الوالين على أعمالها انما تؤدي كل طبقة منها عملها المنوط بها بحكم الامانة فان خربت امانة أولئك الرجال وهم اركان الدولة سقط بناء السلطة وسلب الأمن وزاحت الراحة من بين الرعايا كافة وضاعت حقوق المحكومين وفشا فيهم القتل والتناهب ووعرت طرق التجارة وتفتحت عليهم ابواب الفقر والفاقة وخوت خزائن الحكومة وعميت على الدولة سبل النجاح فان حزبها أمر سدت عليها منافذ النجاة . لاريب ان قومًا يساسون بحكومة خائنة إما أن يفرصوا بالفساد وإما ان يأخذهم جبروت أمة اجنبية عنهم يسومونهم خسفًا ويستبدون فيهم عسفًا فيذوقون من مرارة العبودية ما هو اشد من مرارة الانقراض والزوال

ومن الظاهر ان استعلاء قوم على آخرين انما يكون باتحاد آحاد الغالبين والتئام بعضهم ببعض حتى يكون كل منهم لبنية قومه كالعضو للبدن ولن يكون هذا الاتحاد حتى تكون الامانة قد ملكت قيادهم وعمت بالحكم افرادهم

فقد كشف الحق ان الامانة دعامة بقاء الانسان ومستقر اساس الحكومات وباسط ظلال الامن والراحة ورافع ابنية العز والسلطان

وروح العدالة وجسدها ولا يكون شيء من ذلك بدونها

واليك الاختيار في فرض امة عطلت نفوسها من حلية هذه الحلة الجليلة فلا تجد فيها الا آفات جائحة ورزايا قاتلة وبلايا مهلكة وفقرا معوزا وذلا مجرا ثم لا تلبث بعد هذا كله ان تبتلعها بالاليع العدم وتلتهمها أمهات لهم

﴿ الخصلة الثالثة الصدق ﴾ الانسان كثير الحاجات غير معدود الضرورات وكل ما يسد حاجاته ويدفع ضروراته وراء ستر الخفاء محجوب وتحت حجاب الغيب مكنون . قذف بالانسان من غيب يجهله الى ظهور لا يعرفه فقام في بدء نشأته في زاوية عماء لا يذكر اسما ولا يعهد رسما . هذا الانسان على ضعفه كانما أحفظ الاكوان قبل وجوده فارصدت له القتال وهيأت له النصال فله في كل منناة منها كامنة بلية وفي كل حنو رابضة رزية وكل افاق سهمه في قسي الادوار الرسية ليصيب مقاتل الانسان

منح الانسان خمسة مشاعر السمع والبصر والذوق والشم واللمس ولكن لا غناء بها في هدايته لاقرب حاجاته وارشاده لدفع ما خف من ضروراته فأحجى ان لا كفاء لها في استطلاع مكامن البلايا واكتشاف مخابئ الرزايا ليأخذ حذره ويحرز امره فهو في حاجة كل الحاجة للاستعانة بمشاعر امثاله من بني جنسه والاستهداء بمعارفهم ليتفادى بهدايتهم من بعض لاسعات المصائب ويصيب من الرزق ما فيه قوام معيشته وسداد عوزه والاستهداء انما يكون بالاستخبار ولا تتم فائدة الخبر في الهداية الا ان يكون من مصدر صدق يحدث عن موجود ويحكي عن مشهود والا فما الهداية في خبر لا واقع له

نعم الكاذب يري البعيد قريبا والقريب بعيدا ويظهر النافع في صورة الضار والضار في صورة النافع فهو رسول الجهالة وبعيث الغواية وظهير الشقاء ونصير البلاء

فعلى ما تقدم تكون صفة الصدق ركنا ركينا للوجود الانساني وعمادا للبقاء الشخصي والنوعي وموصل العلائق الاجتماعية بين آحاد الشعوب ولا تتحقق ألفة مدنية او منزلية بدونه

فانظر فيما اذا فقدت أمة خلة الصدق كيف ينخ الشقاء بها رواحله وينفذ سوء البخت فيها عوامله وكيف ينتثر نظامها ويفسد التئامها

تفصيل غايات البشريين

هولاء جحدة الالوهية في أي أمة وبأي لون ظهروا كانوا يسعون ولا يزالون يسعون لقلع اساس هذا القصر المسدس الشكل - قصر السعادة الانسانية القائم بستة جدران ثلاث عقائد وثلاث خصال - اعاصير افكارهم تدكدك هذا البناء الرفيع وتلقي بهذا النوع الضعيف الى عراء الشقاء وتهبط به من عرش المدنية الانسانية الى ارض الوحشية الحيوانية

وضعوا مذاهبهم على بطلان الاديان كافة وعدها اوهامًا باطلة وتجعولات وضعية وبنوا على هذا ان لاحق لملة من الملل ان تدعي لنفسها شرفًا على سائر الملل اعتمادًا على اصول دينها بل الاليق بها على رأيهم ان تعتقد انها ليست اولى من غيرها بفضيلة ولا اجدر بمزية ولا يخفى ما يتبع هذا الراي الفاسد من فتور الهمم وركود الحركات الارادية عن قصد المعالي كما تقدم بيانه

قالوا ان الانسان في المنزلة كسائر الحيوانات وليس له من المزايا ما يرتفع به على البهائم بل هو اخس منها خلقة وادنى فطرة فسهلوا بذلك على الناس اتيان القبائح وهونوا عليهم اقتراف المنكرات ومهدوا لهم طرق البهيمية ورفعوا عنهم معايب العدوان

ذهبوا الى انه لا حياة للانسان بعد هذه الحياة وانه لا يختلف عن النباتات الارضية تنبت في الربيع مثلاً وتيبس في الصيف ثم تعود ترابًا والسعيد من يستوفي في هذه الحياة حظوظه من الشهوات البهيمية وبهذا الراي الفاسد اطلقوا النفوس من قيد التأثم ودفعوها الى انواع العدوان من قتل وسلب وهتك عرض ويسروا لها الغدر والخيانة وحملوها على فعل كل خبيثة والوقوع في كل رذيلة واعرضوا بالعقول عن كسب الكمال البشري واعدموها الرغبة في كشف الحقائق وتعرف اسرار الطبيعة

هذا الوباء المهلك والطاعون المجتاح ﴿اعني النيشريين﴾ لا يصيب اهل الحياء لامتناع نفوسهم عن مشاكلة البهائم وابائها عن وضع اقدامها في منازل الحيوانية المحضة وانفتها من الاشتراك في الاموال والابضاع واباحة التناول مما يختص بالغير منها

ولهذا عمد هولاء المفسدون الى خلة الحياء ليزيلوها او يضعفوها فقالوا ان الحياء من ضعف النفس ونقصها فاذاقويت النفوس وتم لها كمالها لم يغلبها الحياء في عمل ما كائنًا ما كان . فمن الواجب الطبيعي ﴿في زعمهم﴾ ان يسعى الانسان في معالجة هذا الضعف ﴿الحياء﴾ ليفوز بكمال القوة ﴿قلة الحياء﴾ وبهذه الدسيسة يخلطون بين الانسان والهمل ويمزجونه بالهامجات من النعم ويوحدون بين حاله وتصرفه وبين حال الدواب والانعام من اباحة كل عمل والاشتراك في كل شهوة ويهونون عليه اتيان ما تاتيه في نزواتها

ولا يخفى ان الامانة والصدق منشأوهما في النفس الانسانية امران الايمان بيوم الجزاء وملكة الحياء وقد ظهر ان من اصول مذاهب هذه الطائفة ابطال تلك العقيدة ومحو هذه الملكة الكريمة فيكون تأثير آرائهم في اذاعة الخيانة وترويج الكذب اشد من تأثير دعوة داع الى نفس الخيانة والكذب . فان منشأ الفضيلتين ما دام في النفس اثر منه يبعثها على مقاومة الداعي الى الرذيلتين فيضعف اثر دعوته والمؤمن بالجزاء المبرقع بالحياء ان سقط في الخيانة او الكذب مرة وجد من نفسه زاجرًا عنها مرة اخرى أما لو محي الايمان والحياء وهما منشأ الصدق والامانة من لوح النفس فلا يبقى منها وازع عن ارتكاب ضديهما

ويزيد في شناعة ما ذهبوا اليه ان في اصولهم الاباحة والاشتراك المطلقين فيزعمون ان جميع المشتهيات حق شائع والاختصاص بشيء منها يعد اغتصابًا كما سيذكر فلم يبق للخيانة محل فان الاحتيال لنيل الحق لا يعد خيانة ومثلها الكذب . فانه يكون وسيلة للوصول الى حق مغتصب ﴿في زعمهم﴾ فلا يعد ارتكابًا للقبيح . لاجرم ان آراء هذه الطائفة مروجة

للهانات باعثة على اقتراء الاكاذيب حاملة بالابلس على ارتكاب الشرور والرذائل وإتيان الدنايا والخبائث وأين أمة تفشو فيها هذه الخلائق الجديرة بالفناء جالية عن باحة البقاء . فقد انكشف الغطاء بما بيناه عن فساد مشارب هذه الطائفة وعن وجه سوقها الامم والشعوب الى مهاوي الهلكة والدمار

وأقول انها من اشد الاعداء للنوع الانساني كافة فان ما هاج في رؤس ابنائها من الماليخوليا يخيل لهم ان الاصلاح فيما يزعمون ويصور لهم حقيقة النجاح في صور ما يتوهمون فيبعثهم هذا الفساد لايقاد النار في بيت هذا النوع الضعيف ليمحوا بذلك رسمه من لوح الوجود . فان من الظاهر عند كل ذي ادراك ان افراد هذا النوع يحتاجون في بقائهم الى عدة صنائع لو لم تكن اهلكتهم حوادث الجو واعوزهم القوت الضروري والصنائع المحتاج اليها تختلف اصنافها وتتفاوت درجاتها فمنها الخسيس والشريف ومنها السهل ومنها الصعب وهذه الطائفة النيشرية تسعى لتقرير الاشتراك في المشتهيات ومحو حدود الامتياز ودرس رسوم الاختصاص حتي لايعلو احد عن احد ولا يرتفع شخص عن غيره في شيء ما ويعيش الناس كافة على حد التساوي لايتفاوتون في حظوظهم . فان ظفرت هذه الطائفة بنجاح في سعيها هذا ولاق هذا الفكر الخبيث بعقول البشر مالت النفوس الى الاخذ بالاسهل والافضل فلا تجد من يتجشم مشاق الاعمال الصعبة ولا من يتعاطى الحرف الخسيسة طلبًا للمساواة في الرفعة فان حصل ذلك اختل نظام المعيشة وتعطلت المعاملات وبطلت المبادلات وافضى الى تدهور هذا النوع في هوّة الهلاك نعم ان افكار المصابين بالماليخوليا لا تنتج احسن من هذه النتيجة . ولو فرضنا محالاً وعاش بنو الانسان على هذه الطريقة العوجاء فلا ريب ان تمحي جميع المحاسن وضروب الزينة وفنون الجمال العملي ولا يكون لبهاء الفكر الانساني أثر ويفقد الانسان كل كمال ظاهر او باطن صوري او معنوي ويعطل من حلي الصنائع وتغرب عنه انوار العلم والمعرفة ويصبح في ظلام جهل وبلاء ازل وينقلب كرسي مجده وينثل عرش شرفه ويصحر

البدنية الوحشية كسائر انواع الحيوان ليقضي فيها اجلاً قصيراً منها بضروب من الشقاء محاطًا بانواع من المخاوف محشواً باخلاط من الاوجال والاهوال . فان المبدأ الحقيقي لمزايا الانسان انما هو حب الاختصاص والرغبة في الامتياز فهما الحاملان على المنافسة السائقان الى المباراة والمسابقة فلو سلبتها افراد الانسان وقفت النفوس عن الحركة الى معالي الامور واغمضت العقول عن كشف اسرار الكائنات واكتناه حقائق الموجودات وكان الانسان في معيشته على مثال البهائم البرية ان امكن له ذلك وهيهات هيهات

مسالك النيشريين في طلب غاياتهم

سلكوا مناهج من الطرق لبعد اوهامهم الفاسدة . فكانوا إذا سكنوا الى جانب أمن جهروا بمقاصدهم بصريح المقال . واذا ازعجتهم سطوة العدل اخذوا طريق الرمز والاشارة وكنوا عما يقصدون ولوحوا الى ما يطلبون ومشوا بين الناس مشية التدليس

وتارة كانوا يحملون على اركان القصر المسدس ليصدعوها بجملتها في آن واحد واخرى كانوا يعمدون الى بعضها اذا رأوا قوة المانع دون سائرها فيجعلون ما قصدوا منها مرمى انظارهم و يكدحون لهدمه بما استطاعوا من حول وقوة . وقد تلجئهم الضرورة الى البعد عن الاركان الستة بأسرها فلا يأتون بما يمسها مباشرة ولكنهم يدأبون لابطال لوازمها او ملزوماتها ليعود ذلك بابطالها .وقد يكتفون بانكار الصانع جل شأنه وجحد عقائد الثواب والعقاب ويجهدون لافساد عقائد المومنين علمًا منهم بان فساد هاتين العقيدتين * الاعتقاد بالله والاعتقاد بالثواب والعقاب * لا محالة يفضي الى مقاصدهم و يودي الى نتيجة افكارهم . وكثيراً ما سكتوا عن ذكر المبادي وسقطوا على ذات المقصد وهو الاباحة والاشتراك واخذوا في تحسينه و تزيينه واستمالة النفوس اليه . وقد يزيدون على الدعوة الاقناعية بأسب وجوها

[illegible]

[illegible] الارواح [illegible]

[illegible] وضربوا [illegible] الخلل

[illegible] مذاهب النيشريين حتى بعقول من لا يأخذ بها اذا خالطهم

متى ظهر النيشريون في أمة نفثت وساوسهم في صدور الاشرار من تلك الأمة واستهوت عقول الخبثاء الذين لايهمهم الا تحصيل شهواتهم ونيل لذاتهم من اي وجه كان لموافقة هذه الآراء الفاسدة لاهوائهم الخبيثة فيميلون بهم الى ترويج المشرب النيشري واذاعته بين العامة غير ناظرين الى ما يكون من أثره ومن الناس من [illegible] آرائهم ولا [illegible] في طرقهم الا أنه لا يسلم من مضارها ومفاسدها فان الوهن يلم باركان عقائده والفساد يسري لاخلاقه من حيث لا يشعر حيث ان أغلب الناس مقلدون [illegible] عقائدهم منقادون للعادة في اخلاقهم واقل التشكيك وأدنى الشبهة يكفي علة لزعزعة قواعد التقليد وضعضعة قوائم العادة . وان هولاء النيشريين بما يقذفون بين الناس من اباطيلهم يبذرون في النفوس بزور المفاسد فلا تلبث أن تنمو في تراب الغفلة فتكون ضريعًا وزقوما

ولهذا قد يعم الفساد افراد الامة التي تظهر فيها هذه الطائفة وكل لايدري من اي باب دخل الفساد على قلبه فتشيع بينهم الخيانة والغدر والكذب والنفاق ويهتكون حجاب الحياء وتصدر عنهم شنائع تنكرها الفطرة البشرية يأتون ما يأتون من تلك القبائح مجاهرة بلا تحرج وكل منهم وان كان يدعي بلسانه انه مومن بيوم الجزاء وفي نفسه ان ذلك اعتقاده واعتقاد آبائه الا ان عمله عمل من يعتقد أن لا حياة بعد هذه الحياة لسريان عقائد النيشريين الى قلبه وهو في غفلة عن نفسه فلهذا تغلب عليهم الاثرة وهي افراط الشخص في حبه لنفسه الى حد لو عرض في طريق منفعته مضرة كل

العالم لطلب تلك المنفعة وإن حاق الضرر بمن سواه . ومن لوازم هذه الصفة ان صاحبها يؤثر منفعته الخاصة على المنافع العامة ويبيع جنسه وأمته بابخس الاثمان بل لايزال به الحرص على هذه الحياة الدنيئة يبعث فيه الخوف ويمكن فيه الجبن حتى يسقط به في هاوية الذل ويكتفي من الحياة بمدّها وإن كانت مكتنفة بالذلة محاطة بالمسكنة مبطنة بالعبودية فاذا وصلت الحال في أمة الى أن تكون آحادها على هذه الصفات تقطعت فيها روابط الالتئام وانعدمت وحدتها الجنسية وفقدت قوتها الحافظة وهوت عروش مجدها وهجرت الوجود كما هجرها

بيان الامم التي خنعت للذل وضرعت للضيم بعد العزة والشرف بما افسد فيهم النيشريون ﴿ الدهريون ﴾

شعب ﴿ الكريك ﴾ اي اليونانيون كانوا قوماً قليلي العدد وبما ألهموا او ورثوا من العقائد الثلاث خصوصاً عقيدة ان امتهم اشرف الامم وبما اودعوا من الصفات الثلاث خصوصاً صفة الانفة والاباء وهي عين الحياء ثبتوا احقاباً في مقاومة الامة الفارسية وهي تلك الامة العظيمة التي كانت تمتد من نواحي كشغر الى ضواحي استنبول ذلك فوق ما بلغوه من الدرجات العالية في العلوم الرفيعة وقد حملهم الخوف من الذل والانفة من العبودية على الثبات في مواقف الابطال بل رسخ بهم ذلك ولا رسوخ الجبال حذرا من الوقوع فيما لا يليق بار باب الشرف وابناء المجد حتى آل بهم الامر أن تغلبوا على تلك الدولة العظيمة ﴿ دولة فارس ﴾ وهدموا اركانها ومدوا ايديهم الى الهند . وكانت صفة الامانة قد بلغت من نفوسهم الى حيث كانوا يرجحون الموت على الخيانة . كما تراه في قصة ﴿ تيمستوكليس ﴾ . وهو قائد يوناني نبذه ابناء جلدته وطردوه وارصدوا له القتل فاضطر للفرار من ايديهم والتجأ الى ﴿ ارتكزيكسيس ﴾ ملك فارس فلما كانت حرب بين فارس واليونان امره ارتكزيكسيس ان يتولى قيادة جيش لحرب اليونان فأبى ان

يحارب ا ويهاتوق كانت ملازدته فلما الح عليه الملك الفارسي ولم يجد محيصاً تناول السم ومات انفة من خيانة بلاده . راجع تاريخ اليونان .

ظهر ابيقور المتهري واتباعه الدهريون في بلاد اليونان متسمين بسيما الحكماء وانكروا الالوهية ❊ وانكارها اشد المنكر ومنبع كل وبال وشر كما كما يأتي بيانه ❊ ثم قالوا ما بال الانسان معجب بنفسه مغرور بشأنه يظن ان الكون العظيم انما خلق خدمة لوجوده الناقص ويزعم انه اشرف المخلوقات وانه العلة الغائية لجميع المكوّنات . ما بال هذا الانسان قاده الحرص بل الجنون والخرق الى اعتقاد ان له عوالم نورانية ومعاهد قدسية وحياة ابدية ينقل اليها بعد الرحلة من هذه الدنيا ويتمتع فيها بسعادة لا يشوبها شقاء ولذة لا يخالطها كدر . ولهذا قيد نفسه بسلاسل كثيرة من التكاليف مخالفاً نظام الطبيعة العادل . وسد في وجه رغبته ابواب اللذائذ الطبيعية وحرم حسه كثيراً من الحظوظ النطرية مع انه لا يمتاز عن سائر الحيوانات بمزية من المزايا في شأن من الشؤن بل هو ادنى واسفل من جميعها في جبلته وانقص من كلها في فطرته وما يفتخر به من الصنائع فانما اخذه بالتقليد عن سائر الحيونات فالنسج مثلا نقله عن العنكبوت والبناء استن فيه بسنة النحل ورفع القصور وانشاء الصوامع اخذ فيه مأخذ النمل الابيض وادخار الاقوات حذا فيه حذو جنس النمل وتعلم الموسيقى من البلبل وعلى ذلك بقية الصنائع . فان كان هذا شأنه من النقص فليس من اللائق به ان يقذف بنفسه في ورطات المتاعب والمشاق عبثاً ومن الجهل ان يغتر بهذه الحياة التي لا تمتاز عن حياة سائر الحيوانات بل ولا جميع النباتات وليس وراءها حياة اخرى في عالم آخر بل اجدر به ان يلقي ثقل التكاليف عن عاتقه ويقضي حق الطبيعة البدنية من حظ اللذة ومتى سنح له عارض رغيبة حيوانية وجب عليه تناوله من اي وجوهه وعليه أن لا ينقاد الى ما تخيله له اوهام الحلال والحرام واللائق وغير اللائق ❊ لبئس ما سولت لهم

انفسهم نعوذ بالله ﴾ فتلك امور وضعية ﴿ في زعمهم ﴾ تقيد بها الناس جهلاً فلا ينبغي لابن الطبيعة ان يجعل لها من نفسه محلاً ولما امتنعت عليهم نفوس اهل الحياء من الامة فلم تأخذ منها وساوسهم وجدوا تلك الصفة الكريمة سدًّا دون طلبتهم فانصبوا عليها يقصدون محوها من الانفس واعلنوا أن الحياء ضعف في النفس على ما تقدم وزعموا من الواجب على طالب الكمال ان يكسر مقاطر العادات (جمع مقطرة وهي خشبة فيها خروق بقدر ارجل المحبوسين) ويحمل نفسه على ارتكاب ما يستنكره الناس حتى يعود من السهل عليه ان يأتي كل قبيح بدون انفعال نفسي ولا يجد ادنى خجل في المجاهرة بأية هجينة كانت

ثم تقدم الابيقوريون الى العمل بما يرشدون اليه فهتكوا حجاب الحياء ومزّقوا ستاره واراقوا ماء الوجه الانساني المكرم فاستحلوا التناول من مال الناس بغير اذن وكانوا متى راوا مائدة اقتحموا عليها سواء طلبوا اليها أم لم يطلبوا حتى سماهم القوم بالكلاب فاذا راوهم رموهم بالعظام المعروقة ومع ذلك لم تتنازل هذه الكلاب الانسية عن دعوى الحكمة ولم يردعها رادع الزجر عن شيء من شرورها وكانت تنبح في الاسواق منادية المال مشاع بين الكل وتهجم على الناس من كل ناحية وهذا سبب شهرتهم بالكلبيين

فلما ضربت افكار النيشريين ﴿ الدهريين ﴾ في نفوس اليونان بسعي الابيقوريين ونشبت بعقولهم سقطت مداركهم الى حضيض البلادة وكسد سوق العلم والحكمة وتبدل شرف انفسهم بالذل واللؤم وتحولت امانتهم الى الخيانة وانقلب الوقار والحياء قحة وتسفلا واستحالت شجاعتهم الى الجبن ومحبة جنسهم ووطنهم الى المحبة الشخصية وبالجملة فقد تهدمت عليهم الاركان الستة التي كان يقوم عليها بيت سعادتهم وانتقض اساس انسانيتهم ثم انتهى امرهم بوقوعهم أسرى في ايدي الرومانيين ﴿ جنس اللاتين ﴾ وكبلوا في قيود العبودية زمنًا طويلا بعد ما كانوا يعدون حكامًا في الارض بلا معارض

[illegible]

[illegible] الترف [illegible] السعداء من

[illegible] ايام الداخلية [illegible] المستطلون [illegible] الحكم

كان الصدق والامانة أول التعليم الديني عندهم وصلوا فيه الى الدرج
من الكمال بحيث كانوا اذا بلغت الحاجة منتهاها من احدهم لا يتقدم
للاقتراض خوف أن يضطره الدين الى الكذب في مواعيد وفائه فارتفعوا
بهذه الخصال الى درجة من العزة وبسطة الملك يلزم لبيانها كتابة مثل
الشاهنامه

قال المورخ الفرنساوي فرانسيس لونورمان ان مملكة فارس على عهد دارا الاكبر كانت احدى وعشرين ايالة، واحدة منها تحتوي مصر وسواحل القلزم ﴿البحر الاحمر﴾ وبلوجستان والسند. وكانوا اذا ألم الضعف بسلطانهم في زمن من الازمان بعثتهم تلك العقائد القوية والصفات الكريمة على تلافي امرهم فخلصوا مما ألم بهم في قليل زمن ورجعوا الى مكانتهم الاولى ومجدهم الأعلى

ظهر فيهم ﴿مزدك﴾ النيشري ﴿الدهري﴾ على عهد ﴿قباد﴾ وانتحل لنفسه لقب رافع الجور ودافع الظلم وبنزغة من نزغاته قلع اصول السعادة من ارض الفارسيين ونسفها في الهواء وبددها في الاجواء فانه بدأ تعليمه بقوله. جميع القوانين والحدود والآداب التي وضعت بين الناس قاضية بالجور مقررة للظلم وكلها مبني على الباطل وان الشريعة النيشرية المقدسة لم تنسخ حتى الآن وقد بقيت مصونة في حرزها عند الحيوانات والبهائم. اي عقل واي فهم يصل الى سر ما شرعته النيشر ﴿الطبيعة﴾ واي ادراك يحيط بمثل ما احاط به وقد جعلت الطبيعة حق المآكل والمشرب والبضاع مشاعاً بين الآكلين والشاربين والمباضعين بدون ادنى تخصيص. فما الحامل للانسان على حرمان نفسه من بضاع بنته وأمه وأخته

لم تركهن لغيره يتمتع بهن احيانا لما يجعله له الوهم ما يسميه شريعة وادبا .
وأي حق يستند اليه من يدعي ملكية خاصة في مال يتصرف فيه دون سواه مع انه شائع بينه وبين غيره . وأي وجه لمن يحجر على امرأة دخلت في عقده ويحظر على الناس نيلها وقد خلق الذكر للانثى والانثى للذكر وماذا يوجد من العدل في قانون يحكم بان المال الشائع اذا تناولته يد مغتصب بما يسمونه بيعا وشراء او ارثا يكون مختصا بذلك المغتصب ثم يحكم على الفقير المحروم اذا احتال لاخذ شيء من حقه والتمتع به بانه خائن او غاصب

فان كان هذا شأن تلك القوانين الجائرة فعلى الانسان ان يفك اغلالها من عنقه ويطرح كل قيد عقدته القوانين والشرائع والآداب التي لا واضع لها سوى العقل الانساني الناقص ويرجع الى سنة الطبيعة المقدسة ويقضي حق شهوته من اللذائذ التي اباحتها له بأي الوجوه ومن اية الطرق ويأخذ في ذلك مأخذ البهائم وعليه ان يقاوم الغاصبين المتحكمين في الحقوق قسرا ﴿ اي المالكين للأموال والأبضاع ﴾ فيخرجهم عن سوء فعالهم من الغصب والجور ﴿ اي حق التملك ﴾

فلما ذاعت هذه النزعات الخبيثة بين الامة الفارسية تهتك الحياء وفشا الغدر والخيانة وغلبت الدناءة والنذالة واستولى حكم الصفات البهيمية على نفوسهم وفسدت اخلاقهم ورذلت طباعهم

نعم ان انوشروان قتل مزدك وجماعة من شيعته ولكنه لم يستطع محو هذه الاوهام الفاسدة بعد ما علقت بالعقول والتبست نفايتها بالافكار فكان علة في ضعفهم حتى اذا هاجمهم العرب لم تكن الا جملة واحدة فانهزموا مع ان الروم وهم اقران الفارسيين ثبتوا في مجالدة العرب ومقاتلتهم ازمانا طويلة

﴿ الامة الاسلامية ﴾ جاءتها الشريعة المحمدية والديانة السماوية فأشربت قلوبها تلك العقائد الجليلة ومكنت في نفوسها تلك الصفات الفاضلة وشمل ذلك آحادهم ورسخت بينهم تلك الاصول الستة بدرجة يقصر القلم دون التعبير عنها فكان من شأنهم أن بسطوا سلطانهم على

وكانوا ايام من يطلق الاسم الاسبانيا الى حدود الصين في قرن واحد ووصلوا تراب الملاك على بيوتنا الا كاسرة والجبابرة مع انهم لم يكونوا الا شرذمة قليلة العدد نزرة المتعدد ولم ينالوا هذه البسطة في الملك والسطوة في السلطان الا بما حازوا من العقائد الصحيحة والصفات الكريمة . هذا الى ما جذبه مغناطيس فضائلهم من مائة مليون دخلوا في دينهم في مدة قرن واحد من امم مختلفة مع انهم كانوا يخيرونهم بين الاسلام وشيء زهيد من الجزية لا يثقل على النفوس اداؤه .

هكذا كان حال هذه الامة الشريفة من العزة ومنعة السلطان

فلما كان القرن الرابع بعد الهجرة ظهر البشريون (الطبيعيون) بمصر تحت اسم الباطنية وخزنة الاسرار الالهية وانبثت دعاتهم في سائر البلاد الاسلامية خصوصاً بلاد ايران . علم هؤلاء الدهريون ان نور الشريعة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة واتم التسليم قد انار قلوب المسلمين وان من علماء الدين الحنيفي قائمون على حراسة عقائد المسلمين واخلاقهم بكمال علم وسعة فضل ودقة نظر فلهذا ذهب اولئك المفسدون مذاهب التدليس في نشر آرائهم وبنوا تعليمهم على امور اولاً إثارة الشك في القلوب حتى يتفكك عقد الايمان وثانياً الاقبال على الشاك وهو في حيرته ليمنوه بالنجاة منها وهدايته الى اليقين الثابت فاذا انقاد لهم اخذوا منه مواثيقهم ثم اوصلوه الى مرشدهم الكامل وثالثاً اوعزوا الى دعاتهم ان يلبسوا لرؤساء الدين الاسلامي لباس الخدعة وجعلوا من شروط الداعي ان يكون بارعاً في التشكيك ماهراً في التلبيس مقتدراً على إشراب القلوب مطالبه . فاذا سقط الساقط من المغرورين في حبالة مرشدهم الكامل فاول ما يلقنه المرشد قوله . ان الاعمال الشرعية الظاهرة * كالصلاة والصيام ونحوهما * انما فرضت على المحجوبين دون الوصول الى الحق والحق هو المرشد الكامل فحيث انك وصلت الى الحق فاليك ان تلقي عن عاتقك ثقل الاعمال الدينية فاذا مضى عليه زمن في عهدهم صرحوا له بان جميع الاعمال الباطنة والظاهرة وكذلك سائر الحدود والاعتقادات انما الزمت فرائضها بالناقصين المصابين

بامراض من ضعف النفوس ونقص العقول اما وقد صرت كلاً فلك الاختيار في مجاوزة كل حد مضروب والخروج من اكنان التكاليف الى باحات الاباحة الواسعة . ما الحلال وما الحرام . ما الامانة وما الخيانة . ما الصدق وما الكذب . ما هي الفضائل وما هي الرذائل . الفاظ وضعت لمعان مخيلة وما لها من حقيقة واقعية ﴿ في زعم المرشد ﴾

فاذا قرر المرشد اصول الاباحة في نفوس اتباعه التمس لهم سبيلاً لانكار الالوهية وتقرير مذهب البشرية ﴿ الدهريين ﴾ فأتي اليهم من باب التنزيه فقال الله منزه عن مشابهة المخلوقات ولو كان موجوداً لاشبه الموجودات ولو كان معدوماً لاشبه المعدومات فهو لاموجود ولا معدوم ﴿ يعني انه يقر بالاسم وينكر المسمى ﴾ مع أن شبهته هذه سفسطة بديهية البطلان فان الله منزه عن مشاركة الممكنات في خصائص الامكان اما في مطلق الوجود فلا مانع من ان يتفق اطلاق الوصف عليها وعليه وان كان وجوده واجباً ووجودها ممكنا

وقد جدّت طائفة الباطنية في إفساد عقائد المسلمين زماناً غير قصير أخذاً بالحيلة ونفاذاً بالخدعة حتى انكشف امرهم لعلماء الدين وروساء المسلمين فانتصبوا لدرء مفاسدهم وتحويل الناس عن ضلالاتهم فلما رأوا كثرة معارضيهم شحذوا شفار الحيلة ففتكوا بكثير من الصالحين واراقوا دماء جم غفير من علماء الامة الاسلامية وامراء الملة الحنيفية

و بعض اولئك الملحدين عند ما امكنته الفرصة ووجد من نفسه ريح القوة اظهر مقاصده على منبر ﴿ ألموت ﴾ ﴿ قلعه في خراسان ﴾ وجهر بآرائه الخبيثة فقال . اذا قامت القيامة حطت التكاليف عن الاعناق ورفعت الاحكام الشرعية سواء كانت متعلقة بالاعمال البدنية الظاهرة او الملكات النفسية الباطنة والقيامة عبارة عن قيام القائم الحق واما القائم الحق فليعمل عامل ما اراد فلا حرج بعد اليوم اذ رفعت التكاليف وخلصت منها الذمم ﴿ أي أغلقت ابواب الانسانية وفتحت ابواب البهيمية ﴾

[illegible]
بين الاجيال الناشئة الاسلامية محتجاً على التمييز بالاوضاع الالهية بفنون من الجهل ومهدوا كل كمال انساني نقصاً وكل فضيلة رذيلة وخيلوا للناس صدق ما يزعمون ثم تطاولوا على جانب الالوهية فحلوا عقود الايمان بها بالسفسطة التي سموها تنزيهاً ومحوا هذا الاعتقاد الشريف من لوح القلوب وفي محوه محو سعادة الانسان في حياته وسقوطه في هاوية اليأس والشقاء

فافسدوا اخلاق الملة الاسلامية شرقاً وغرباً وزعزعوا اركان عقائدها وساعدهم مد الزمان على تلويث النفوس بالاخلاق الرديئة وتجريدها من السجايا الكاملة التي كان عليها ابناء هذه الملة الشريفة حتى تبدلت شجاعتهم بالجبن وصلابتهم بالخور وجرأتهم بالخوف وصدقهم بالكذب وامانتهم بالخيانة ووقع المسخ في همهم فبعد أن كان مرماها مصالح الملة عامة صارت قاصرة على المنافع الشخصية الخاصة وعادت رغباتهم لا تخرج عن الشهوات البهيمية . وكان من عاقبة ذلك ان جماعة من قوم الافرنج صدعوا اطراف البلاد السورية وسفكوا فيها دماء آلاف من اهاليها الابرياء وخربوا ما امكنهم ان يخربوا وتبتوا بها نحو مائتي سنة والمسلمون في عجز عن مدافعتهم . مع ان الافرنج كانوا قبل عروض الوهن لعقائد المسلمين وطروء الفساد على اخلاقهم في قلق لا يستقر لهم أمن على حياتهم وهم في بلادهم خوفاً من عادية المسلمين وكذلك قام جماعة من أوباش التتر والمغول مع جنكيز خان واخترقوا بلاد المسلمين وهدموا كثيراً من المدن المحمدية واهدروا دماء ملايين من الناس ولم تكن للمسلمين قدرة على دفع هذا البلاء عن بلادهم مع ان مجال خيولهم في بدء الاسلام على قلة عددهم كان ينتهي الى اسوار الصين

وما نزل بالمسلمين شيء من هذه المذلات والاهانات ولا رزئوا بالتخريب في بلادهم والدماء في ارواحهم الا بعد ما كلت بصائرهم وبعدت نياتهم ومازج الدغل قلوبهم وخربت امانتهم وفشا الغش والادهان بينهم ودار كل منهم حول نفسه لا يعرف أمة ولا ينظر الى ملة فاصبحوا بغفلة

خوارة بعد أن كانت قناتهم لاتلين لغامز الا ان بقية من تلك الاخلاق الحمدية كانت لم تزل راسخة في نفوس كثير منهم كامنة في طي ضمائرهم فهي التي انهضتهم من كبوتهم وحملتهم على الجد في كشف السطوة الغربية عن بلادهم فأجلوا الامم الافرنجية بعد مئين من السنين وخلصوا البلاد السورية من ايديهم وطوقوا الجنكيزيين بطوق الاسلام والمسوهم تيجان شرفه ولكنهم لم يستطيعوا حسم داء الضعف واعادة ما كان لهم من الشوكة الى المقام الاول فان ما كان من شوكة وقوة انما هو اثر العقائد الحقة والصفات المحمودة فلما خالط الفساد هذه وتلك تعسر عود السهم الى النزعة . ولهذا ذهب المورخون الى ان بداية الانحطاط في سلطة المسلمين كانت من حرب الصليب والاليق ان يقال ان ابتداء ضعف المسلمين كان من يوم ظهور الآراء الباطلة والعقائد البشرية ﴿ الدهرية ﴾ في صورة الدين وسريان هذه السموم القاتلة في نفوس اهل الدين الاسلامي

وليس بخاف ان فئة ظهرت في الايام الاخيرة بعض البلاد الشرقية واراقت دماء غزيرة وفتكت بارواح عزيزة تحت اسم لا يبعد عن اسماء من تقدمها لمثل مشربها وانما التقطت شيئاً من نفايات ما ترك دهريو الموت وطبيعيو كردكوه . وتعليمها نموذج تعليم اولئك الباطنيين فعلينا ان ننتظر ما يكون من آثار بدعها في الامة التي ظهرت بها

﴿ الشعب الفرنساوي ﴾ شعب كان قد تفرد بين الشعوب الاوربية باحراز النصيب الاوفر من الاصول الستة فرفع منار العلم وحرك نشر الصناعة في قطعة اوروبا بعد الرومانيين وصار بذلك مشرقاً للتمدن في سائر الممالك الغربية وبما احرز الفرنساويون من تلك الاصول كانت لهم الكلمة النافذة في دول الغرب الى القرن الثامن عشر من الميلاد المسيحي حتى ظهر فيهم (وولتير) و(روسو) يزعمان حماية العدل ومغالبة الظلم والقيام بانارة الافكار وهداية العقول فنبشا قبر أبيقور الكلبي واحييا ما بلي من عظام الناتورليسم (الدهريين) ونبذا كل تكليف ديني وغرسا بذور الاباحة والاشتراك وزعما ان الآداب

[illegible] الدين [illegible]

[illegible] وبنشر الكتب في

[illegible]م والقدح في اسلافهم وعيب ما جاؤا به فانصدعت

[illegible] من قلوب الفرنساويين وبالت من عقولهم فنبذوا الديانة

[illegible] ان يطلقوا ابوابها [illegible] انفسهم ابواب

الشريعة [illegible] الطبيعة وزاد بهم الهوس في بعض

ايامهم حتى حمل لفيفا من ماشيهم ان يختاروا ابنة من ذوات الجمال فيهم

ويحملوها الى محراب الكنيسة [illegible] ونادى زعيم القوم · ايها الناس

لا يأخذكم الفزع بعد اليوم من هدهدة الرعد ولا التماع البرق ولا تظنوا

شيئا من ذلك تهديدا لكم من [illegible] يزعجكم

عن مخالفته كلا فهذه كلها آثار الطبيعة * الناتور * ولا موثر في الوجود

سوى * الناتور * فحلوا عن اعناقكم قيود الاوهام ولا تقيموا لاحكام [illegible]

من خواطر ظنونكم فان كانت العبادة من رغائب شهواتكم فها هي (مَدْ موَازَيل)

اي العذراء قائمة في المحراب على مثال الدمية فاعبدوا لها ان شئتم

والاضاليل التي بثها هذان الدهريان * وولتير وروسو * هي التي اضرمت نار الثورة الفرنساوية المشهورة ثم فرقت بعد ذلك اهواء الامة وافسدت اخلاق الكثير من ابنائها فاختلفت فيها المشارب وتباينت المذاهب واوغلوا في سبل الخلاف زمنا يتبعه زمن حتى تباين صدعهم وذهب كل فريق يطلب غاية لا يرى وراءها غاية وليس بينها وبين غايات سائر الفرق مناسبة وانحصر سعي كل قبيل في التماس ما يوائي لذته ويوافق شهوته واعرضوا عن منافعهم العامة واعقب ذلك عروض الخلل لسياستهم الخارجية شرقا وغربا

نعم ان نابليون الاول بذل جهده في اعادة الديانة المسيحية الى ذلك الشعب استدراكا لشأنه لكنه لم يستطع محو آثار تلك الاضاليل فاستمر

الاخلاف بالسياحويين الى الحد الذي هم عليه اليوم . هذا الذي جر الفرنساويين للسقوط في هاوية الهزيمة بين ايدي الجرمانيين وجلب اليهم من الخيبة ما تعسر عليهم تعويضه في سنين طويلة . هذه الاباطيل الدهرية قام عليها مذهب الكمون لي الاشتراكيين ونما هذا المذهب بين الفرنساويين ولم تكن مضار الآخذين به ومفاسدهم في البلاد الفرنساوية اقل من مضار الجرمانيين ﴿راجع تاريخ الحرب بين فرنسا والمانيا﴾ ولو لم يتدارك الامر ارباب العقائد النافعة والسجايا الحسنة لنسف الاشتراكيون كل عمران على اديم فرانسا ومحوا مجد الامة تنفيذاً لاهوائهم وجلباً لرغائبهم

﴿الامة العثمانية﴾ انما رقت حالتها في الازمنة المتأخرة بما دب في نفوس بعض عظمائها وامرائها من وساوس الدهريين فان القواد الذين اجترحوا اسم الخيانة في الحرب الاخيرة بينها وبين الروسية كانوا يذهبون مذهب النيشريين ﴿الدهريين﴾ وبذلك كانوا يعدون انفسهم من ارباب الافكار الجديدة ﴿ابناء العصر الجديد﴾

زعموا بما كسبوا من اوهام الدهريين أن الانسان حيوان كالحيوانات لا يختلف عنها في أحكامها . وهذه الاخلاق والسجايا التي عدوها فضائل تخالف بجميعها سنن الطبيعة المطلقة ﴿النانور﴾ وإنما وضعها تحكم العقل وزادها تطرف الفكر . فعلى من يبصر بالحقيقة (على زعم اولئك المارقين) أن يستنهج كل طريق لتحصيل شهواته واستيفاء لذاته ولا يأخذ نفسه بالحرمان من ملاذه وقوفاً عند خرافات القيود الواهنه والموضوعات الانسانية الواهية . وحيث ان الفناء حتم على الاحياء فما هو الشرف والحياء وما هي الامانة والصدق واي شيء هو العفة والاستقامة . ولهذا خان اولئك الامراء ملتهم مع ما كان لهم من الرتب الجليلة ورضوا بالدنية واستناموا الى الخسة ونسفوا بيت الشرف العثماني في تلك الحرب وجلبوا المذلة على شعوبهم بعرض من الحطام قليل

[illegible]

[illegible] والطالبون بحقوق [illegible]

كل طائفة منها وان لم تمح [illegible] مخالفته لمقصد الاخرى الا

انهم متفقون [illegible]

الكل [illegible] الكل . وكم [illegible] وكم هدموا من بناء وكم

خربوا من عمران وكم أثاروا من فتن وكم اهرقوا من دماء كل ذلك سعياً

في الوصول الى بعض المطالب الخبيثة . وجميعهم على اتفاق في ان جميع المشتهيات الموجودة على سطح الارض منحة من الطبيعة وفيض من فيوضها والأحياء في التمتع بها سواء [illegible] سائر الافراد بدعة في شرع الطبيعة سيئة يجب محوها والاراحة منها . ومن مزاعمهم ان الدين والملك عقبتان عظيمتان وسدان منيعان يعترضان بين ابناء الطبيعة ونشر شريعتها المقدسة ﴿ الاباحة والاشتراك ﴾ وليس من مانع أشد منهما فاذن من الواجب على طلاب الحق الطبيعي ان ينقضوا هذين الاساسين ويبيدوا الملوك و روساء الاديان

ثم يعمدوا الى الملاّك واهل السعة في الرزق فان دانوا لشرع الطبيعة فخرجوا عن الاختصاص فتلك والاّ أخذ باعناقهم قتلا وبا كظامهم خنقا حتى يعتبر بهم من يكون من امثالهم فلا يلوون روسهم كبرا على الشريعة المقدسة ﴿ شريعة الطبيعة ﴾ ولا تزورّ أعناقهم عصياناً لاحكامها

نظرا ابناء هذه الطوائف الثلاثة في وجوه الوسائل لبث افكارهم والافضاء بما في أوهامهم الى قلوب العامة فلم يجدوا وسيلة أنجح في زرع بزور الفساد في النفوس من وسيلة التعليم إما بانشاء المدارس تحت ستار نشر المعارف او بالدخول في سلك المعلمين في مدارس غيرهم ليقرروا اصولهم في اذهان الاطفال وهم في طور السذاجة فتنتقش بها مداركهم بالتدريج . فمن اولئك

المهاجرين من عصابة العمارين وتحق الناس اقتار وبينهم يتفرقون في بلاد اوربا يطلبون وظائف التعليم وينالون من ذلك طلبتهم وجميعهم يحافظون على إذاعة تعاليمهم الباطلة وبهذا كثرت احزابهم وبث شيعتهم في اقطار الممالك الاوروبية خصوصا مملكة الروسية لاجرم ان هذه الطوائف اذا استفحل امرها وقوي ساعدها على المجاهرة باعمالها فقد تكون سببا في انقراض النوع البشري كما تقدم ذكره اعاذنا الله من شرور اقوالهم واعمالهم

مورمون

هذا النبي الاخير والرسول الممتاز بالبعثة من قبل الناتور (الطبيعة) نشأ في انكلترا ثم هاجر منها الى اميركا واعلن ما القي اليه بالهام الطبيعة من ان النعمة العظمى ﴿ يريد الاباحة والاشتراك ﴾ انما يوتاها من كان مومنا بالطبيعة وليس لغيره من الكفرة بها حق التمتع بتلك النعمة واجتمع اليه عدد من ضعفة العقول فألف منهم جمعيتين احداهما من المومنين والاخرى من المومنات وقال لكل مومن حق التمتع بكل مومنة حتى كانت اذا سئلت احدى المومنات . زوجة من أنت . تجيب انها زوجة جماعة المومنين واذا سئل احد ابنائهن . ابن من أنت . يجيب انه ابن الجمعية الا انه الى الآن لم يصعد لهيب فسادهم من هوة الويل (هوة جمعيتهم)

﴿ دهريو الشرقيين ﴾

اما منكروا الالوهية أعني النيشريين الذين ظهروا في لباس المهذبين ولوّنوا ظواهرهم بصبغ المحبة الوطنية وزعموا انفسهم طلاب خير الامة فصاروا بذلك شركاء اللص ورفقاء القافلة ثم تجلوا في اعين الاغبياء حملة لاعلام العلم والمعرفة وبسطوا للخيانة بساطا جديدا وتولاهم الغرور بما حفظوا من كلمات قليلة ناقصة غير تامة الافادة مسروقة من أوهام المبطلين وفتلوا سبالهم كبرا وعلوّا ولقبوا انفسهم بالهادين والادلاء وهم في اطباق جهل وارتاق غباوة وفي أهب من دنس الرذائل ومسوك من قذر الذمائم فاولئك قوم قوي فيهم الظن بان العقل وثمرته من المعرفة ينحصران في تبين

[illegible]

... لم يخطأ احد بخطوة جانب ... [illegible] لا بد من ... وسع القلم ان يحرك

في هذا اهل الضيق غير انه يمكن ان يقال انهم ﴿ يأجوج ﴾ لغيرهم من اهل الضلالة ﴿ اي سيئو التقليد لهم ﴾ وما بقي من اوصافهم لا يخفى على لهم القارئين

مضار انكار الالوهية

تبين مما اسلفناه ان طائفة [illegible] كلما نجمت في امة افسدت اخلاقها واوقعت الخلل في عقولها وخلطت قلوب آحادها بانواع من الحيل والوان من التلبيس حتى تصبح تلك الامة وقد وهى اساسها وتنطر بناؤها واغتالتها رذائل الاخلاق من الأثرة وعبادة الشهوات والجرأة على ارتكاب الخيانات ولا يزال الفساد يتغلغل في احشائها حتى تضمحل ويمحى اسمها من صفحة الوجود او تضرب عليها الذلة ويخلد ابناؤها في الفقر والعبودية

إلاّ ان قبيلا من هذه الطائفــة عملوا على اخفاء مقصدهم الاصلي وهو الاباحة والاشتراك واكتفوا في ظاهر الامر بانكار الالوهيــة وجحود يوم الدين يوم العرض والجزاء وقد يظن بعض ضعفة العقول ان في ذلك بسطة الفكر وسعة الحرية لهذا احببت ان أبين ان هذه النزعة وحدها كافية في إفساد الهيئة الاجتماعية وتزعزع أركان المدنية وليس من ضروب الباطل ما هو اشد منها تأثيرًا في محو الفضائل وإثارة الخبائث والرذائل وليس من الممكن ان يجتمع لشخص واحد وهم الدهري وفضيلة الامانة والصدق وشرف الهمة وكمال الرجولية

ذلك ان كل شخص من افراد الانسان قد اودع بحسب فطرته وبناء بنيته شهوات تميل به الى مشتهيات فشهواته تدفعه الى تحصيل مشتهياته ولا يستطيع تسكين هواه ولا كسر سورة نفسه الا بنيل ما يمكنه من تلك المشتهيات كأنه يعالج ألم الطلب بما يصل اليه من المطلوب ولم تحدد الطبيعة طريقاً معينة يسلكها الراغبون للوصول الى رغائبهم فسبيل حق وسبيل باطل . وسبيل الفتنة والفساد . وسبيل الهدى والرشاد . وسبيل سفك الدماء واغتصاب الحقوق . وسبيل الاعتدال والتعفف . وكلها ميسر للطالب غير ممتنع على السالك

فقصر النفوس على طريقة محدودة وتوقيف اهوائها عند حدود معينة ومنعها من تجاوز حد الاعتدال في آثارها واعمالها وارضاء كل ذي شهوة بحقه وكفه عن الاعتداء والاجحاف بحقوق غيره هذا كله انما يكون باحد امور اربعة

﴿ الامور التي يكون بها الزام النفس حدود العدل ﴾

اما ان يحمل كل ذي حق آلة حربه فيخترط سيفه ويعتقل رمحه ويرفع ترسه ويقوم ليله ونهاره يقدم احدى رجليه ويؤخر الاخرى دفاعاً عن حقه . واما شرف النفس كما يزعمه ارباب الاهواء . واما الحكومة . واما الاعتقاد بأن لهذا العالم صانعاً قادراً محيط العلم نافذ الحكم وانه يوفي كل عامل جزاء عمله من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ثواباً جزيلا او عقاباً وبيلا في حياة بعد هذه الحياة

﴿ الاول المدافعة الشخصية ﴾

اما الاول فبراز وضراب ونضال وقتال وجلاد تسيل به الاودية مهجاً وتخضل به الربى دماً وتتفانى به النفوس طلباً للحقوق او دفاعاً عنها وتكون الدائرة للاقوياء على الضعفاء حتى اذا قوي الضعفاء يوماً ما ثاروا على الاقوياء فلا يزال صاحب القوة يطحن الضعيف والاقران يسحق بعضهم بعضاً الى ان يعم جميعهم الفناء وينقرض النوع الانساني من وجه البسيطة

[illegible] تمكن [illegible]

[illegible] وبقائها

[illegible] صاحبها من التمتع ولا تنقل نفسه من

[illegible] على شرف النفس ليست لها حقيقة معينة ولا هي نسبة

[illegible] جميع الأمم [illegible] بالشهوات

عند حد الاعتدال . ألا ترى ان كثيراً من الامور يعد ارتكابه عند بعض الأمم خسة ودناءة وهو بعينه عند بعض آخر شرف ورفعة يستتبع المدح والثناء . على انه في الحقيقة شر الشرور واعظم الفجور . تبين ذلك من حال سكان البادية واهل الجبال من القبائل المتبدية ؟ فانهم يعدون الغارة والفتك بالارواح وانتهاب الاموال واستلاب [illegible] من معالي المجد وبلوغ الغاية منها بلوغ الى نهاية الشرف . وهذه الفعال بعينها يعدها سكان المدن واهل الحضارة من لواحق الدناءة وعلائم خسة النفس . وكذلك الحيلة والمكر يحسبها قوم خسة وخبثا ويحسبها آخرون حكمة وعقلا

واذا امعنت النظر في المسألة وجدت ان لكل كائن في عالم الامكان علة غائية والعلة الغائية لاعمال الانسان انما هي نفسه فهو لا يطلب شرف النفس ولا يسعى للتجمل به الا لطمعه في توفير رزقه وتوسيع سبل معيشته وخوفه من ضيق مسالك العيش عليه فانه يعلم ان شرف النفس يرد الى صاحبه شوارد القلوب ويجعله مكان ثقتها ويظهره في بهاء الصدق والامانة فيعظم الركون اليه وتكثر اعوانه وفي ذلك توفر اسباب المعيشة واتساع طرقها بخلاف من تلثات نفسه بالخسة فذلك مقذوف القلوب منبوذ الطباع لا ينبسط اليه النظر ولا يحوم عليه الخاطر فهو قليل الاعوان عديم الاخوان ومن كان هذا حاله سدت عليه ابواب الرزق واكتنفته غائلات الفاقة فيكون ميل الانسان الى شرف النفس ودرجته من القوة والضعف وتمكنه من نفسه وعدم تمكنه ومراتب اثره في كبح الشهوات وردها عند تخوم العدالة

انما هو على حسب احوال الطبقات في معايشهم يعني ان كل طبقة من
الناس تطلب من تلك الصفة ما يلزمها في معيشتها ويحفظها من طارقة السوء
بل لا ترى كل طبقة ان شيأ يعد من الشرف الا تلك الصفة التي تحفظ بها
المنزلة وتصان بها مواد المعيشة وما زاد على ذلك فلا يعد فقدانه نقصاً
ولا الخلو عنه انحطاطاً فلا تسعى لاستحصاله وان عده قوم آخرون من
جوهر الشرف ومن مقومات الكمال وان لنا عبرة في اغلب السلاطين
والامراء فانهم مع اخذهم بمذاهب الشرف لا يبالون بنقض العهود وخفر الذمم
خصوصاً مع من دونهم في السلطان ومن لا يضارعهم في القوة ولا يأنفون
الظلم ولا ينكرون الغدر ولا يتجافون مذمة من تلك المذام ولا يعدون
شيئاً منها خسة ولا يحسبونه من خلائق الدناءة مع ان واحداً من هذه
الفعال لو صدر من آحاد الرعية بعضهم مع بعض لعدّ من دنيات الفعال
ورمي فاعله بخسة النفس وسقوطها عن مراتب الشرف ومن هذا الوجه كان
الخلل يعرض لنظام المعيشة حيث ان سائر الطبقات لا ينظرون الى ما
يصدر عن امرائهم ورؤسائهم نظرهم الى ما يصدر عن آحادهم فهم يذهبون
مذاهب التأويل في اعمال الرؤساء والكبراء . وهكذا حال الطبقات العالية
بالنسبة لما دونها طبقة بعد طبقة اي ان كل طبقة عالية تزعم نفسها مصونة
من المثالب محفوظة من الشنائع ومنزلتها ممن دونها تحمل الادنين على
الاقرار لها بما تزعم فلو كان قوام النظام في العالم الانساني بشرف النفس
لانطلقت ايدي العدوان من الطبقات الرفيعة فيما دونها وتفتحت ابواب
الشر والفساد في وجه هذا النوع الضعيف

هذا كله اذا فرضنا وقوف كل طالب لشرف النفس عند ما يظنه
شرفاً لا يخالفه الى سواه لا خفية ولا جهرة لكن حيث كان الباعث على
التجمل بهذا الوصف انما هو الرغبة في تحسين المعيشة والفرار من مضانكها
فقلما يستوي ظاهر الانسان وباطنه في هذه الصفة فهو في معلنات اموره
يسلك سبل الشرف لينال حظه من ميل القلوب اليه ثم لا يمنعه ذلك من

[illegible]

[illegible] إن من

[illegible] بصفة المحامد [illegible] من أحوال المداحين الظاهرين

[illegible] عند ذويهم وما يضمرون

[illegible] وما يضمرون من الاستهانة [illegible] بهم

فان قيل لا يليق بذي عقل ان يجعل شرف النفس ميزانا للعقل ولا مكان للظن بان هذه الصفة تقف بكل عند حده وترغبه عنه وتكف النفوس عن غصب الحقوق وتدفعها عن الجور وتمنعها عن الحيف ما ظهر منه وما بطن

فان قال قائل ان حب المحمدة ما أشربته قلوب البشر وهو باعث على الاستمساك بشرف النفس [illegible] من [illegible] وطرق انسانية يسعى لكسب المحمدة لابد له ان يطلب الغاية من خلة الشرف النفسي وينزه نفسه عن جميع الرذائل ويرفعها عن معاطاة الدنايا والخسائس ويبتعد بها عن مناهج الحيف والعدوان فنقول في جوابه أولاً انما تعارض موجب المدح والثناء ومقتضى الشهوات البدنية فقليل من الناس من يختار الاول على الثاني والجمهور الاغلب مغلوب للشهوة مأسور للذة والنظر في طبقات الناس واحوالهم على اختلافهم يثبت لنا ذلك وثانيا ان صاغة المدائح ونساج المحامد صنف من الناس اشباه إنسان وأسناخ حيوان . اولئك المعروفون بالمورخين والشعراء الكاذبين ولا باعث لهولاء على نثر المحامد ونظم القصائد الا نضارة الثروة في الممدوحين ورونق الجاه والجلالة في المحمودين من غير نظر الى مناشئ الجاه ولا موارد الثروة فمناط الحمد احدى البسطتين وإن حفت بالمظالم واحيطت باللوائم ولهذا تنبعث نفوس كثير من الناس للوصول الى هذه المظاهر فيطلبون الغنى والثروة والجاه والعظمة ولو كان ذلك من وجوه الغدر وطرق الحيف والظلم لينالوا بذلك حظهم من اللذائذ البدنية كما يصيبون سهمهم من المدائح على ألسنة اولئك المدلسين

وليس بكثير في الناس طلاب الحمية الحقة اللاقطون لدرر المدائح من باحات الفضائل وساحات المكارم المرتاضون للحمد بين حدود الحق واولئك الحافظون لشرف النفس وقليل ما هم فلم تبق ريبة في قصور هذه الخلة اعني شرف النفس عن الكفاية في تعديل الاخلاق وتحديد الشهوات وتجنب العدوان وحفظ النظام الانساني اللهم الا ان تكون مستندة الى عقيدة في دين وتكون حقيقتها محدودة في ذلك الدين فعند ذلك تكون دعامة لبناء الشركة الانسانية ومعقدة لروابط الالفة وسبباً لانتظام سلسلة المعاملات لاستنادها على الدين لا بنفسها مجردة كما مرت الاشارة اليه في صفة الحياء.

﴿ الثالث الحكومة ﴾

واما الثالث (الحكومة) فليس بخاف ان قوة الحكومة انما تأتي على كف العدوان الظاهر ورفع الظلم البين اما الاختلاس والزور المموه والباطل المزين والفساد الملون بصبغ الصلاح ونحو ذلك مما يرتكبه ارباب الشهوات فمن اين للحكومة ان تستطيع دفعه وأنى يكون لها الاطلاع على خفيات الحيل وكامنات الدسائس ومطويات الخيانة ومستورات الغدر حتى تقوم بدفع ضرره على ان الحاكم واعوانه قد يكونون بل كثر ما كانوا ويكونون ممن تملكهم الشهوات فأي وازع يأخذ على ايدي اصحاب السلطة ويمنعهم من مطاوعة شهواتهم المتسلطة على عقولهم وأي غوث ينقذ ضعفاء الرعايا وذوي المكنة منهم من شر اولئك المتسلطين وحرصهم . لاجرم قد يكون الحاكم في خفي امره رئيس السارقين وفي جلي حاله قائد الناهبين واعوانه آلات يستعملها في الجور وأدوات يستعين بها على الفساد والشر فيغطلون من حقوق عباد الله ويهتكون من اعراضهم ويغنمون من اموالهم يروون ظمأ شهواتهم بدماء الضعفاء وينقشون قصورهم بمخ الفقراء وبالجملة يكون مبلغ سعيهم هلاك العباد ودمار البلاد

﴿ الأمر الرابع في الاعتقادات الدينية ﴾

فانه لم يبق للشهوة قمع ولا للاهواء رادع الا الأمر الرابع اعني الايمان بان للعالم صانعا عالما بضمائر القلوب ومطويات الانفس سامي القدرة واسع الحول والتصديق الاعتقاد بأنه قد قدّر للخير والشر جزاء يوفاه مستحقه في حياة بعد هذه الحياة وفي الملحق ان هاتين العقيدتين وازعان قويان يكبحان النفس عن الشهوات ويمنعانها عن العدوان ظاهره وخفيه وحاسمان صارمان يحوان اثر الغدر ويستأصلان مادة التدليس وهما افضل وسيلة لاحقاق الحق والتوقيف عند الحد وهما مجلبة الأمن ومتنسم الراحة وبدون هذين الاعتقادين لا تقرر هيئة للاجتماع الانساني ولا تلبس المدنية سربال الحياة ولا يستقيم نظام المعاملات ولا تصفو صلات البشر من شائبات الغل وكدورات الغش

فلو خويت القلوب من هاتين العقيدتين لسكنتها شياطين الرذائل وسدت عليها طرق الفضائل ومن أين لمنكر الجزاء أن يكف نفسه عن خيانة او يترفع بها عن كذب وغدر وتملق ونفاق وقد تقرر ان العلة الغائية لاعمال الانسان انما هي نفسه كما سبق فان لم يومن بثواب وعقاب وحساب وعتاب في يوم بعد يومه فما الذي يمنعه عن ذمائم الفعال خصوصاً اذا تمكن من اخفاء عمله وأمن من سوء عاقبته في الدنيا او رأى منفعته الحاضرة في ركوب طريق الرذيلة والعدول عن سنن الفضيلة وأي حامل يحمله على المعاونة والمرادفة والمرحمة والمروءة وعلو الهمة وما يشبه ذلك من الاخلاق التي لا غنى للهيئة الاجتماعية عنها (ولئن وجد في احد الجاحدين شيء من مكارم الاخلاق بمقتضى الغريزة لكان عرضة للفساد او كان أبتر ناقصاً لفقد ما يمده من سائر صفات الكمال)

وقد تبين ان اوّل تعاليم النيشريين ﴿ الدهريين ﴾ ابطال هذين الاعتقادين ﴿ الاعتقاد بالله والاعتقاد بالحياة الابدية ﴾ وهما اساس كل دين وآخر تعاليمهم الاباحة والاشتراك فهولاء القوم هم الساعون في نسف

الانسانية وتذريته في ذيول الساقيات يطلبون ضعضعة اركان المدنية وفساد الاخلاق البشرية ويقوّضون بذلك ما رفعه العلم وشادته المعرفة فيهلكون الامم باطفاء حرارة الغيرة واخماد ريح الحمية. هولاء جراثيم اللؤم والخيانة وأرومات الرذالة والدناءة واحلاس الخسة والنذالة واعلام الكذب والافتراء ودعاة الحيوانية العجماء. محبتهم كيد وصحبتهم صيد وتوددهم مكر ومواصلتهم غدر وصداقتهم خيانة ودعواهم للانسانية حبالة ودعوتهم للعلوم شرك ومكيدة. يخونون الامانة ولا يحفظون السر و يبيعون ألصق الناس بهم بأدنى مشتهياتهم. عبيد البطون واسراء الشهوات لا يستنكفون من الدنية اذا اعقبتها عطية ولا يخجلون من الفضيحة اذا تبعتها رضيخة لا علم عندهم بالوقار ولا احساس لهم بالعار ولم يبلغهم عن شرف النفس خبر مخبر ولا وصل اليهم عن الهمة عبارة معبر او تفسير مفسر الابن فيهم لا يأمن أباه والبنت لا أمان لها من كليهما. نعم اي حد تقف دونه حركات طبع الطبيعيين

قد يوجد بين العاش من تغره نعومة لمس هذه الافاعي وتروقه رقطة جلودها وانتظام الرقش فيها فينخدع لهم بما يلتبس عليه من امرهم فيصغي لزخرف قولهم ويظن ان هولاء القوم من طلاب التمدن والاعوان على الاصلاح او من الراغبين في بث المعارف او المنقبين عن الحقائق او يتخيل ان منهم من يكون غوثًا عند الضيق او عونًا في الشدة او مخزنًا للاسرار عند الحاجة فذلك المغرور بمظاهر هذه الطائفة لا محالة يبكي عليه و يضحك منه فالضحك عجبًا من غروره والبكاء حزنًا على ضلاله

فتبين مما قررناه أن الدين وان انحطت درجته بين الاديان وهي اساسه فهو افضل من طريقة الدهريين واس بالمدنية ونظام الجمعية الانسانية واجل اثرًا في عقد روابط المعاملات بل في كل شأن يفيد المجتمع الانساني وفي كل ترق بشري الى اية درجة من درجات السعادة في هذه الحياة الاولى

ولما كان نظام الاكوان قد بني على اساس الحكمة ونظام العالم الانساني

[illegible] تدرج الى [illegible]
المتمدنين [illegible] في اي زمان ظهروا وتخففوا ما يعرض من
[illegible] الجسم الذرع من الخيلاء المفرسة والنعرة من الاجنبية السامة
وانهض [illegible] النظام المدني الحقيقي وهو الدين لبذل الجهد واقراغ الوسع
في هدم ما اقاموا واستئصال ما يغرسون في ممالكهم ·لاجرم ان مزاج الانسان
الكبير [illegible] هموم النوع [illegible] بما اودع الله فيه من الشعور الفطري وهو
اثر الحكمة الالهية العامة [illegible] هؤلاء المخوفة ولا يحتمل وجودهم في باطنه
فيدفعهم كما تدفع الفضلات من المعدة او الذبابة من المنخر او النخامة من
الصدر لهذا تراهم وان حلوا بعض منازل الارض من زمان بعيد وايدهم
بعض النفوس الخبيثة من ذوي الشوكة لاغراض سافلة الا انهم لم يثبتوا ولم
يتم لهم امر بل كانت [illegible]
والنظام الحقيقي لنوع الانسان وهو الدين لم يزل قارًّا راسخًا في جميع الاجيال
وعلى اي الاحوال

فلم تبق ريبة أن الدين هو السبب الفرد لسعادة الانسان فلو قام
الدين على قواعد الامر الالهي الحق ولم يخالطه شيء من اباطيل من يزعمونه
ولا يعرفونه فلاريب أنه يكون سببًا في السعادة التامة والنعيم الكامل ويذهب
بمعتقديه في جواد الكمال الصوري والمعنوي ويصعد بهم الى ذروة الفضل
الظاهري والباطني ويرفع اعلام المدنية لطلابها بل يفيض على المتدينين
من ديم الكمال العقلي والنفسي ما يظفرهم بسعادة الدارين والله يهدي من
يشاء الى صراط مستقيم . وهذا آخر ما دعت اليه الحاجة من المقابلة بين
مذهب الدهريين وبين الدين على وجه عام وأثر كل من الامرين في بنية
الاجتماع الانساني والله اعلم